موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٢)

حقوق الجارة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٢٠٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٢)

١- الأدب العربي - موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٢٠٧-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٢)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الجارة لغةً	٩
الجارة اصطلاحاً	٩
مراتب الجوار	١٠
أسباب طلب المرأة للجوار	١٨
حماية الجار للجارة والدفاع عنها	٢٠
حماية الجارة للجار	٢٦
جوار المكان	٣١
حق الجارة على الجار	٤٣
حفظ سر الجارة وسترها	٦٠
إكرام الجارة والإحسان إليها	٦٨
معاملة الجارة في المدح، والفخر، والهجاء، والرثاء	٧٩
الفهارس	٩٣

موقع الكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرتضى بن زناك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

جعل الله الحياة متشابكة المصالح، متعددة المنافع، لا يستطيع النهوض بأعبائها أي إنسان وحده، مهما أوتي من قوة العزم والجسم، وسعة الحيلة، ونفاذ البصيرة. وقد تقسو الحياة أحيانًا، وتزداد متاعبها وتشتد، وكلما انتهى الإنسان من علاج مشكلة، واجه مشكلة أخرى، قد لا يكون له قبل بها، ولا طاقة على تحملها.

وليس هذا شأن المرأة وحدها، بل قد يعجز أعتى الرجال عن مواجهة ظروف حياته بمفرده، فما بالنا بالمرأة وهي العنصر الأضعف بالمجتمع، وهي التي يتوجب الرفق بها وحسن معاملتها سواء أكانت أمًا، أو أختًا، أو زوجة، أو قريبة، أو جارة، لأن للجارة حقًا على جيرانها، جارها وجارتها.

وكلمة جارة حملت عدة معان، فالزوجة جارة ولها حقوق، وجارة السكن لها حقوق. وحرمة الجارة كحرمة الأم والأخت.

وقد جعلت الأعراف القبلية في المجتمع الجاهلي، للجارة حقوقًا كحقوق جميع الجيران، وخصتها ببعض الحقوق. وقد تكون هذه الحقوق التي ميز المجتمع الجاهلي الجارة بها كونها امرأة. وقد تكون وحيدة غير متزوجة، أو أرملة، أو أمًا لأولاد صغار وأيتام لا معيل لهم، أو أن الظروف اضطرتها إلى الاغتراب، فلا أهل ولا حامي لها من صروف الدهر. ولذلك فهي بحاجة إلى من يعينها على نكباته، أو يعيلها، ويقدم لها ما تحتاج إليه.

ولا تقتصر الحاجة على المساعدة المادية، فهي بحاجة إلى الحماية، الحماية من ضعاف النفوس الذين قد يتجرؤون عليها ويعتدون على ممتلكاتها، أو على شرفها، وأقرب الناس وأقدرهم على حمايتها جيرانها، لأنهم أعلم الناس بواقع حالها ومشكلاتها. ولذلك حتم المجتمع العربي الجاهلي بحكم الأعراف القبلية، والأخلاق

www.mtenback.com

الحسنة، على الجيران حماية جاراتهم، وصون كرامتهن، والتزم كثير من الجيران في الجاهلية بهذه الحماية. وكان من مفاخر العربي أن يتحدث عن حمايته لجارته، لا بل إن هذه الحماية فخر له ولأبنائه وأحفاده من بعده. وقد يتعدى الأمر ذلك إلىأن تفخر القبيلة بكاملها، برجالها الذين حموا جاراتهم.

وليست حماية الجارة مجالاً للفخر فحسب، بل تكسب صاحبها ثناء الآخرين، فهو حين يحمي جاراته يكون شهمًا، وحين يتعفف عن الاعتداء على شرفهن يكون كامل المروءة، شريفًا. كما كانت هذه الحماية مجالاً رحبًا لرثائه بعد وفاته. أما من لا يلتزم بهذا العرف القبلي، ويتنكر لجاراته، فإن ذلك سيكون سبة عليه، يستغله أعداؤه في هجائه هجاء لا يمكن أن تمحوه يد الزمان، مهما قدم من أعمال حسنة بعد ذلك، بل سيظل هذا الهجاء عالقًا في أذهان معاصريه، ومن يأتي بعدهم إلى الأبد.

ولم يقتصر الاهتمام بشؤون الجارات على العصر الجاهلي، بل زاده الإسلام قوة، لأن الإسلام دعا إلى مكارم الأخلاق، وحماية الجارة ورعايتها من أولى المكارم. فحث الإسلام على تمثل هذا الخلق، والتمسك به. وقد أوصى جبريل رسول الله ﷺ بالجار عمومًا وصية أكد، وألح عليها، حتى ظن رسول الله ﷺ أن الجار سيكون وريثًا لجاره.

وإذا كان الإسلام قد ألح على رعاية الجار عمومًا، فإنه خص الجارة بخصوصيات كثيرة، فعظم الإساءة إليها وضاعف عقابها في الدنيا والآخرة وجعل صون عفة الجارة خلقًا دينيًا، وسلوكًا اجتماعيًا محمودًا. وكان حسن سلوك العربي في الجاهلية مع جاراته يهبه المدح والفخر، ثم أصبح في الإسلام منطلقًا اجتماعيًا ودينيًا مقدسًا. فاتفقت تقاليد العرب وأعرافهم في الجاهلية مع روح الإسلام لصالح حماية الجارة، وحسن معاملتها.

www.mtenback.com

وزخرت كتب الأدب والشعر والتاريخ بالقصص والأشعار التي تتحدث عن حسن معاملة الجيران عمومًا، والجارة خصوصًا. ذلك لأن لها على جيرانها الحماية، والصون، والإطعام، والإكرام، والإحسان إليها. وخصوصية الجارة عند جيرانها لها دوافعها في الجاهلية، وقد أضاءها الإسلام بتعاليمه السمحة. وقد بين النبي ذلك حين قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

من هذا نخلص إلى القول بأن بناء العلاقات الاجتماعية يعد ضرورة لقيام المجتمع الصالح، ولتكوينه التكوين السليم الآمن، ويجعل العلاقات الإنسانية لصالح الجميع، ويجعل للجارة مكانة خاصة بها، ستتضح معنا فيما نناقش من معاني الحماية والرعاية للجارة.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الجارة لغة:

اسم جامد مؤنث، مأخوذ أصلاً من مادة: ج، و، ر. لكنّ معناه متصل بالفعل المزيد جاوَر، يجاور، جِواراً ومجاوَرَة.

جاور الرجَل: ساكنه ولاصقه في المسكن. وجارُك: الذي يجاورك. وتجاورا: جاور بعضهم بعضاً والجار: الذي يجاورُك بيت بيت. والجار النَّفيح: هو الغريب. والجار: والشريك في العقار، والناصر، وأجاره: حماه وأنقذه، والجار أيضاً: المُجير والمستجير، والمُجار. والجوار: العهد، والأمان.

فهذه معانٍ منتقاة من معانٍ عديدة مشتقة من (الجوار) على لغة العرب واستعمالاتهم[1].

الجارة اصطلاحًا:

ومن المعاني المقصودة بـ (الجارة) عند العرب أنها امرأة الرجل وهو جارها[2]، لأنه مؤتمن عليها، وأمر بأن يحسن إليها، وألا يتعدى عليها، لأنها تمسكت بعقد حرمة قرابة الصهر، وصار زوجها جارها، لأنه يجيرها ويمنعها ويحميها ممّن يعتدي عليها[3].

والجارة: المستجيرة التي تطلب الحماية وترغب في الجوار. والجارة: الضرة. من المجاورة بينهما، أي أنها ترى حسنها فتغيظها بذلك، ومنه: «كنت بين جارتين لي، امرأتين ضرتين». وحديث عمر بن الخطاب حين قال لابنته حفصة أم المؤمنين: «لا يغرك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك»[4] يعني عائشة.

---

(1) انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، (١٩٧٠م). مادة (جور).

(2) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، (د.ت) ج١١، ص١٧٥.

(3) الأزهري: تهذيب اللغة، ص١٧٦-١٧٧؛ ابن منظور: ج١، من الألف إلى الراء، ص٥٣١.

(4) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ٥٣٠.

www.mtenback.com

ولا شك أن الجارة بذلك لها حق الجوار من الحماية والرعاية والصيانة ودفع الأذى عنها. وهذا مستفادٌ من المصطلح نفسه ومن واقع الحال وأخلاق العرب بالضرورة.

مراتب الجارة:

الجارة (الزوجة) وعلاقتها بجارها (الزوج):

الجيرة مراتب، بعضها ألصق من بعض، وأدناها الزوجة، قال الشاعر الأعشى يخاطب زوجته ويناديها بلقب جارة[٥]:

أيا جَارَتي بيني فَإنَّك طَالِقَهْ ... كَذاكَ أُمُور النَّاسِ غَادٍ وَطارِقَهْ

وَبيني فَإنَّ البَيْنَ خَيْرٌ مِنَ العَصا ... وَإلاّ تَزالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ

وَمَا ذَاكَ من جُرْمٍ عَظِيْمٍ جَنَيْتِهِ ... وَلا أَنْ تَكُوني جِئْتِ فينا بِبائِقَهْ

وقيل إن الشاعر الأعشى أنشد هذا الشعر بعد أن تزوج امرأة من عنزة بن أسد، فلم يرضها و لم يستحسن خلقها، فطلقها، وقيل: إن قومها أتوه فضربوه، وأمروه أن يطلقها، فطلقها[٦].

كما خاطب صخر أخو الخنساء زوجته وابنة عمه سلمى بلقب جارة. وكانت سلمى أحب الناس إليه، وأكرمهم عليه، وكانت أجمل نساء قومها. وكان صخر يعرف لها منزلتها وقدرها. ثم إن صخراً خرج في غزاة له، فأصابته جراحة شديدة، فمرض منها، فكان قومه يعودونه، فقالوا لزوجته سلمى: كيف أصبح صخر اليوم؟ فقالت: لا أصبح حيًا فيرجى، ولا ميتًا فينسى.

---

[٥] الأعشى، ميمون بن قيس: ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، ط٧، بيروت، (١٩٨٣م)، ص٣١٣؛ الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج٨، ص٨٠.

[٦] الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص٨٠.

www.mtenback.com

وسمعها صخر فشق عليه، وقال: هذه بنت عمي، وأحب الناس إلي، تقول هذا ضجرًا وتمنيًا لفراقي، وأنشد قائلاً ذاكرًا زوجته سلمى بالجارة[٧]:

أَجَارَتَنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... عَلَى النَّاسِ كُلُّ الآمِنِينَ تُصِيبُ

فَإِنْ تَسْأَلِينِي هَلْ صَبَرْتُ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ

عَزِيزٌ عَلَى أَنْ لا تُرَى لِيَ كَآبَةٌ ... فَيَشْمَتَ عَادٍ، أَوْ يُسَاءَ قَرِيبُ

أَجَارَتَنَا لَسْتُ الغَدَاةَ بِظَاعِنٍ ... وَلَكِنْ مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

ويبدو من هذا الشعر مدى تأثر صخر من جارته (زوجته) سلمى، لأنه شعر بأنها تتمنى موته بعد أن أدركت شدة مرضه، ويئست من شفائه، ولم تصبر على ما أصابه.

كما ذكر تأبط شرًا زوجته باسم الجارة، وكان غاضبًا منها، لأنها كانت تشكو كبر سنه لجاراتها، وترى أنه أدبر عن النساء، فقال[٨]:

تَقُولُ سُلَيْمَى لِجَارَاتِهَا ... أَرَى ثَابِتًا يَفَنًا حَوْقَلا

لَهَا الوَيْلُ مَا وَجَدَتْ ثَابِتًا ... أَلَفَّ اليَدَيْنِ وَلا زُمَّلا[٩]

---

[٧] الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية: ديوان الخنساء، شرح ثعلب أبو العباس أحمد ابن يحيى، تحقيق أنور سويلم، دار عمار، مؤتة، (١٩٨٨م)، ص٣٦٣-٣٦٤. وجاء البيت الثالث في ديوان الخنساء كما يلي:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... على الناس كل المخطئين مصيب

[٨] تأبط شرًا، أبو زهير ثابت بن جابر: ديوان تأبط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، (١٩٨٤م)، ص١٦٢؛ ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، تحقيق: عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، (١٤١٨هـ)، ص٢١٣.

[٩] اليفن: الشيخ الكبير، حوقل: إذا أدبر عن النساء. والزمل: بمعنى الضعيف الجبان الرذل.

www.mtenback.com

وَلا رَعِـشَ السَّـاقِ عِنْـدَ الجِـراءِ ... إِذَا بَـادَرَ الحَمْلَـةَ الهَيْضَـلا[10]

يَفُـوتُ الجِيَـادَ بتَقْرِيبِـهِ ... وَيَكْسُـو هَوَادِيَهَـا القَسْـطَلا

فَـأَصْبَحْتُ والغُـولُ لِـي جَـارَةٌ ... فَيَـا جَارَتَـا أَنْـتِ مَـا أَهْـوَلا

فَمَنْ سَـالَ: أَيْـنَ ثَـوَتْ جَـارَتِي ... فَـإِنَّ لَهَـا بِـاللِّوى مَـنْزِلا

وَكُنْتُ إِذَا مَـا هَمَمْـتُ اعْـتَزَمْتُ ... وَأَحْـرِ إِذَا قُلْـتُ أَنْ أَفْعَـلا

ويبدو من هذا الشعر أن تأبط شرًا كان منزعجًا مما تذكره جارته (زوجته) عن كبر سنه وعجزه، لجاراتها، ولذلك فهو يهددها، وينذرها، ويبعد عن نفسه كل صفات الكبر والعجز، من رعش الساق وغيره. ويصف نفسه بالقوة والمقدرة، ويصف جارته (زوجته) بأنها غول، وأنها ضخمة ومخيفة، فيسلبها كل مقومات الأنوثة التي يجب أن تتصف بها، فلا رقة، ولا نعومة، ولا لطف.

وذكر الشنفرى زوجته أميمة بالجارة، فقال[11]:

فَيَا جَـارَتِي وَأَنْـتِ غَـيْرُ مُلِيمَـةٍ ... إِذَا ذُكِـرَتْ وَلا بِـذَاتِ تَقَلَّـتِ

لَقَدْ أَعْجَبَتْنِـي لا سَـقُوطًا قِنَاعُهَـا ... إِذَا مَا مَشَـتْ وَلا بِـذَاتِ تَلَفُّـتِ

تَبِيتُ – بُعَيدِ النَّومِ – تُهْدِي غَبُوقَهَا ... لِجَارَاتِهَـا إِذَا الهَدِيَّـةُ قَلَّـتِ

---

[10] الهيضل: الجماعة من الناس، والهيضل من النساء الضخمة. والهيضل أيضًا الجيش الكبير، وهو المقصود هنا. ورجل رعش: أي جبان. والجراء يكون للخيل، خاصة بمعنى العدو، ويكون بمعنى المجاراة.

[11] المفضل الضبي، المفضل بن محمد: المفضليات، شرح شاكر وهارون، مطبعة المعارف، القاهرة، مصر، (د.ت) ج١، ص١٠٨-١٠٩. التقلت: من القلي وهو البغض. الغبوق: اللبن الذي يشرب في العشي. النسي: الشيء المنسي أو المفقود. تقصه: تتعقب أثره. أمّها: بفتح الهمزة، قصدها. تبلت: أوجزت. النثا: الحديث عن الشخص، الحليل: الزوج. وانظر: الشنفرى، عمرو بن مالك: ديوانه، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٣٢-٣٣.

www.mtenback.com

تَحُلُّ بِمَنْجَـــاةٍ مِـــنَ اللَّـــوْمِ بَيْتَهـــا ... إِذَا مَـــا بُيُـــوتٌ بِالمَذَمَّـــةِ حُلَّـــتِ
كَأَنَّ لَهَا فِـــي الأَرْضِ نِسْـــيًا تَقُصُّـــهُ ... عَلَـــى أَمِّهَـــا وَإِنْ تُكَلِّمْـــكَ تَبْلَـــتِ
أُمَيْمَـــةُ لا يُخْـــزِي نَثَاهَـــا حَلِيْلَهَـــا ... إِذَا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّـــتْ وَجَلَّـــتِ
إِذَا هُـــوَ أَمْسَـــى آبَ قُـــرَّةَ عَيْنِـــهِ ... مَآبَ السَّعِيدِ لَمْ يَسَلْ أَيْـــنَ ظَلَّـــتِ

وهكذا وصف الشنفرى زوجته أميمة بالجارة، وأنها تهدي غبوقها لجاراتها، إذا قلّت الهدايا، وضنّ بها الناس، ووصف جمالها المعنوي، وما تتحلى به من شيم وخصال كريمة، فيرى أنها خجول لا يسقط قناعها في أثناءسيرها، ولا تكثر التلفت حولها. وهي كريمةٌ تؤثر جارتها في الجدب بغبوق اللبن. وقد حصنت بيتها عن كل لوم أو ذم يلحقها، وفوق ذلك فهي مؤدبة، شديدة الحياء، لا ترفع رأسها أثناء مسيرها، بل تنظر إلى الأرض، حتى ليظن من يبصرها أنها تبحث عن مفقود، وإذا قابلت شخصًا في طريقها وكلمها، أوجزت الكلام ومضت إلى غايتها، فانتشرت في العشيرة أخبارها العطرة، التي جعلت زوجها يفخر بها، ويمتلئ زهوًا وخيلاء، فهي مثال العفة والجلال، تلك الصفات رفعتها عن كل شك وتهمة، فإذا عاد زوجها إلى منزله تعبًا من العمل أو السفر، كانت له خير جارة، وسعد بلقائها، فهي ترضيه حاضرًا وغائبًا، ولذلك فهو لا يسألها إلى أين ذهبت، ومن أين أتت[١٢]؟.

وأنشد ابن معاوية مخاطبًا جارته (زوجته) التي عجبت من كثرة الشيب الذي علا رأسه، فاستغرب أن عجبت جارته من شيبه، ورأى بأن الوليد يعذر إذا لم يعلُ الشيب رأسه، ولا يعذر من عاش عمرًا مديدًا عتيًّا، فقال[١٣]:

عَجِبَـــتْ جَـــارَتِي لِشَـــيْبِ عَلاَنِـــي ... عَمْـــرَكِ اللهُ: هَـــل رَأَيْـــتِ بَدِيًّـــا
إِنَّمَـــا يُعْـــذَرُ الوَلِيـــدُ وَلا يُعْـــ ... ـــذَرُ مَنْ عَـــاشَ مِـــنْ زَمَـــانٍ عُتِيًّـــا

(١٢) المفضل الضبي: المفضليات، ص١٠٩.
(١٣) الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص٦٩.

www.mtenback.com

كما خاطب بشار بن برد جارته (زوجته) حين جزعت، وجزع معها على فقد ابنهما، ورثاه بعد أن قال له أصحابه في العزاء: (أجر قدمته، وفرط افترطته، وذخر أحرزته). فقال مجيبًا لعزائهم: (ولد دفنته، وثكل تعجلته، وغيب وعدته، فانتظرته. والله لئن لم أجزع للنقص، لا أفرح للزيادة). وقال يرثيه بادئًا بمخاطبة جارته (زوجته)، قائلاً[١٤]:

أَجَارَتَنَا لا تَجْزَعِي وَأَنِيبِي ... أَتَاني مِنَ المَوتِ المُطِلِّ نَصِيبِي

بُنَيَّ عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِيْ رُزِئْتُهُ ... وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلِيْبِ

وقال عمرو بن قميئة يتحدث عن جارته (زوجته)[١٥]:

أَرَى جَارَتِيْ خَفَّت وخَفَّ نَصِيحُهَا ... وَحُبَّ بِها لَوْلا الهَوَى وَطُمُوحُهَا

فَبِيني عَلَى نَجْمٍ سَنِيحٍ نُحُوسُهُ ... وَأَشْأَمُ طَيْرِ الزَّاجِرِيْنَ سَنِيْحُها

فَإِنْ تَشْغَبِيْ فَالشَّغْبُ مِنْكِ سَجِيَّةٌ ... إِذا شِيْمَتِي لَمْ يُؤتَ مِنْها سَجِيْحُها

وهذا عروة بن الورد، يصف زوجته سلمى بأنها جارته، وذلك حين عادت سلمى إلى أهلها،وفقدها. مستغنية عن الرجل الذي أحبت، والأولاد الذين أنجبت، ففقد شطر حياته بفقدها، وضاعت من يديه الجارة (الزوجة) التي فضلها على جميع النساء. وأنجبت له الأولاد، فلم يعد يملك إلا الشعر يرثي به حاله، ويندب حظه، عندما أصبحت في بلاد قومها بني كنانة في موضع يسمى السرير، وأصبح هو في بلاد قومه في عالية نجد بين إمّرة وكير، وبينهما هذا البعد من الأرض. قائلاً[١٦]:

---

[١٤] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، تقديم: محمد الطاهر عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر، ط٢، (١٩٦٧م) ج١، ص٢٥٤-٢٥٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٣١.

[١٥] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢٦٤. حب بها: أي ما أحبها إليّ.

[١٦] عروة بن الورد والسموءل: ديوانا عروة بن الورد والسموءل، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٣١-٢٣. القاسمي، ظافر: الحياة الاجتماعية عند العرب، دار النفائس، بيروت، (د.ت) ص٢٥-٢٦.

www.mtenback.com

سَقَى سَلمَى وَأَيْـــنَ دِيَـارُ سَـلمَى إِذَا كَـانَتْ مُجَـاوِرَةَ السَّـرِيْرِ
إِذَا حَلَّـتْ بِـأَرْضِ بَنِـي عَلِـيٍّ وَأَهْلِـي بَيْـنَ إِمَّـرَةٍ وَكِـيْرِ

وليست الزوجة فقط هي التي حملت اسم الجارة، بل حملته الحبيبة، فكثيرًا ما خاطب الحبيب حبيبته، وذكرها باسم الجارة، وقد تكون حبيبته جارته في السكن، حيث تقوم الصلات العميقة بين الجيران. فقيس بن الحدّادية، يصف هيامه الشديد بحبيبته نُعْم بنت ذؤيب التي جاورته في شهور كثيرة، ويصف عفتها مع مبادلتها إياه الحب، فيقول[17]:

قَدِ اقْتَرَبَتْ لَوْ أَنَّ فِي قُـرْبِ دَارِهـا نَوَالاً، وَلَكِنْ كُلُّ مَـنْ ضَـنَّ مَـانِعُ
وَقَـدْ جَاوَرَتْنَـا فِي شُـهُورٍ كَثِـيْرَةٍ فَمَـا نَوَّلَـتْ وَاللهُ رَاءٍ وَسَـامِعُ
كَأَنَّ فُؤَادِي بِيْنَ شِقَّيْنِ مِـنْ عَصَـا حِذَارِ وُقُوعِ البَيْـنِ وَالبَيْـنُ وَاقِـعُ

أما مالك بن أسماء فكان يتمنى أن ينزل في دار من قصب ليجاور دار جارية من بني أسد عشقها. وكانت دار مالك في بني أسد مشهورة، فهي دار جميلة مبنية بالجص والآجر، فقال في ذلك[18]:

يَـا لَيْـتَ لِي خُصًّـا يُجَاوِرُهَـا بَـدَلاً بِـدَارِي فِي بَنِـي أَسَـدِ
الخُـصُّ فِيـهِ تَقَـرُّ أَعْيُنَنَـا خَـيرٌ مِـن الآجُـرِّ وَالكَمَـدِ

كما أنشد ابن ميّادة في جارته (حبيبته) قائلاً[19]:

---

[17] أبو الفرج علي بن الحسن، الأصفهاني: الأغاني، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ج١، ص٦؛ حفني: شعر الصعاليك، ص٣٣١، ٣٣٩، ٤١١.

[18] الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص١١٦.

[19] ابن ميادة: شعر ابن ميّادة، جمع وتحقيق حنّا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (١٤٢٠هـ/١٩٨٢م)، ص٦٩؛ الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص٩١.

www.mtenback.com

نَظَرْتُ فَلَمْ أَعْتَفْ وَعَـافَتْ فَبَيَّنَـتْ لَهَا الطَّيْرُ قَبْلِـي وَاللَّبِيْـبُ لَبِيْـبُ
فَقَالَتْ حَرَامٌ أَنْ نُـرى بَعْـدَ هَـذِهِ جَمِيعَيْـنِ إِلاَّ أَنْ يُلِـمَّ غَرِيْـبُ
أَجَارَتَنَـا صَـبْرًا فَيَـا رُبَّ هَـالِكٍ تَقَطَّعُ مِـنْ وَجْـدٍ عَلَيْـهِ قُلُـوبُ

فإضافةً إلى الجارة (الزوجة والحبيبة) فهناك الجارة المستجيرة، وجارة السكن، ويتضح مما سبق، أن الزوجة حملت لقب الجارة، وكذلك الحبيبة في كثير من أشعار العرب وأقوالهم. ويبدو ظاهرًا للعيان مما ورد في شعر الجارة (الحبيبة)، أنها تخلقت بالعفة، حتى لنشعر بأن العفة جبلت مع الحب. وإضافة نتحدث عن ذينك النوعين بالتتابع.

جوار الحماية:

تبادلت المرأة والرجل جوار الحماية، فأجار الرجال النساء، وأجارت النساء الرجال، وعمل كل منهم على حماية جاره والدفاع عنه، لكن المرأة قد تمر بظروف شديدة طارئة تضطرها إلى طلب الحماية من الرجال، فيقع عبء حمايتها على مجيرها، الذي عليه أن يحميها ويرد لها حقوقها. ولطلب الجوار مظاهر متعددة منها: وصل الدلو بالدلو، وهذا ما فعلته امرأة من بني مرّة يقال لها ديهث، مع الحارث بن ظالم[٢٠]، حين أرادت طلب الحماية منه، بعد أن استولى أحد رجال النعمان بن امرئ القيس على إبل لها، فعلقت دلوها بدلو الحارث معلنة طلب الإجارة، وخاطبته قائلة: أبا ليلى: «إنّي أتيتك مضافة»[٢١]. وأعلمته بما حدث لها، فقبل إجارتها، وقال لها: «إذا أورد القوم النعم، فنادي بأعلى صوتك:

---

[٢٠] هو الحارث بن ظالم بن بغيض المرّي، أبو ليلى: نشأ يتيمًا، قتل أبوه وهو طفل، فشب وفي نفسه حقد على قاتل أبيه. آلت إليه سيادة غطفان، ومكنته الظروف من قتل قاتل أبيه على الرغم من أنه كان في جوار الملك النعمان بن المنذر، فطلبه النعمان، فاضطر إلى طلب الإجارة. انظر عنه البغدادي، عبد القادر بن عمر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط٢، (١٩٨١م)، ج٣، ص١٨٥.

[٢١] تقصد مستجيرة.

www.mtenback.com

دَعَـوْتِ بِـاللهِ وَلَـمْ تُرَاعِـي ذَلِـكَ داعِيْـكِ فَنِعْـمَ الدَّاعِـي
لَكِـنَّ ذَوْدَ الحَـارِثِ الكَسَّـاعِ يَمْشِـي لَهَـا بِصَـارِمٍ قَطَّـاعِ
يَشْـفِي بِهَـا مَجَـامِعَ الصُّـدَاعِ»

وخرج الحارث في إثر جارته يقول[٢٢]:

أَنَا أَبُـو لَيْلَـى وَسَـيْفِي المَغْلُـوبْ كَمْ قَدْ أَجَرْنَا مِنْ حَرِيْبٍ مَحْـرُوبْ
وَكَمْ رَدَدْنَا مِنْ سَـلِيْبٍ مَسْـلُوبْ وَطَعْنَـةٍ طَعَنْتُهَـا بِـالمَنْصُوبْ
ذَاكَ جَهِيزُ المَوْتِ عِنْـدَ المَكْـرُوبْ

كما قال الحارث لجارته ديهث: «لا تردن عليك ناقة ولا بعير تعرفينه إلا أخذته»، ففعلت. فأتت على لقوح لها يحلبها حبشي، فقالت: يا أبا ليلى: هذه لي، فأمر الحارث الحبشي بإعادتها إلى جارته.

وهكذا أجار الحارث ديهثَ دون أن يكون بينه وبينها عقد جوار كامل الشروط، وقد أعجب الشاعر الفرزدق بإجارة الحارث بن ظالم لديهث، وأنشد في ذلك شعرًا يوضح فيه أن جارة الحارث لم يكن لها عقد جوار كامل معه، ومع ذلك فقد أجارها من رجال ملك قوي مثل النعمان، وردّ لها كل ما أخذ منها، فقال[٢٣]:

كَمَا كَانَ أَوْفَى إِذْ يُنَادِي ابْنُ دَيْهَـثٍ وَصِرْمَتُـهُ كَـالمَغْنَمِ المُتَنَهَّـبِ
فَقَامَ أَبُو لَيْلَـى إِلَيْـهِ ابْـنُ ظَـالِمٍ وَكَانَ إِذَا مَا يَسْلُلِ السَّيْفَ يَضْـرِبِ
وَمَا كَانَ جَارًا غَـيْرَ دَلْـوٍ تَعَلَّقَـتْ بِحَبْلَيْهِ فِي مُسْتَحْصِدِ الحَبْلِ مُكْـرَبِ

---

[٢٢] الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص٢١.

[٢٣] الفرزدق، همام بن غالب: ديوان الفرزدق، دار صادر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦م، ج١، ص٢١-٢٢؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص٢١.

www.mtenback.com

أسباب طلب المرأة للجوار:

تطلب المرأة الجوار إذا لم تجد من يحميها، مع وجود من يستغل ضعفها، ويعتدي عليها، ويسلبها أموالها. وعلى ذلك يكون من أولى أسباب طلب المرأة للجوار، أنها بسبب ضعفها تحتاج إلى كل شهم تعرف شجاعته، وهمته وحسن إجارته، يدفع عنها ويؤمن خوفها ويحمي ضعفها، كما فعل عنترة بن شداد حين أجار نسوة من بني عامر، ودافع عنهن، فوصف ذلك بقوله[٢٤]:

وَمُغِيْرَةٍ، شَعْواءَ ذاتِ أَشِلَّةٍ ... فِيْهَا الفَوَارِسُ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ

فَزَجَرْتُها عَنْ نِسْوَةٍ مِنْ عَامِرٍ ... أَفْخَاذُهُنَّ كَأَنَّهُنَّ الخُرْوَعُ

ويتضح من شعر عنترة، أنه زجر القوة العاتية عن نسوة بني عامر لضعفهن، وأن أفخاذهن ترتعش خوفًا كأنها الخروع، وهو نبات ضعيف لا يتحمل شيئًا، تضرب العرب بضعفه المثل.

الحمية القبلية:

الحمية خلق أصيل طبع عليه العربي، وأول ما يثير حميته ونخوته العربية هي المرأة عندما تحتاج إلى عونه فيتحرك في نفسه شمم المروءة وينجد المرأة سواء كانت من نساء القبيلة أم غريبة عنها بعيدة منها، عندئذ يفخر بما صنع ويذكر غيرته كما فعل عنترة حين أجار نساءه فقال في ذلك[٢٥]:

وَنَحْنُ مَنَعْنَا بِالفُرُوقِ نِسَاءَنَا ... نُطَرِّفُ عَنْهَا مُشْعِلاتٍ غَوَاشِيا

أَبَيْنَا أَبَيْنَا أَنْ تَضِبَّ لِثَاتُكُمُ ... عَلَى مُرْشَفَاتٍ كَالظِّبَاءِ عَوَاطِيا

وَنَحْفَظُ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَنَتَّقِي ... عَلَيْهِنَّ أَنْ يَلْقَيْنَ يَوْمًا مَخَازِيَا

---

[٢٤] عنترة بن شداد: ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، (١٩٨٣م)، ص٢٦٤.

[٢٥] المصدر السابق، ص٢٢٤-٢٢٦، ٣٤٠.

www.mtenback.com

ومثله قال عبد الله بن الزِّبَعْرى يمدح قصيًا لإجارتهم للنساء وحمايتهم[٢٦]:

وَإِنَّ قُصَيًّا أَهْلُ عِزٍّ وَمَنْعَةٍ ... وَأَهْلُ فَعَالٍ لا يُرَامُ قَدِيْمُهَا

هُمُ مَنَعُوا يَوْمَيْ عُكَاظَ نِسَاءَنَا ... كَمَا مَنَعَ الشَّوْلَ الهِجَانَ قُرُومُهَا

وللقرابة والصداقة حق، يوجب على الرجل أن يحمي زوجة ابن عمه، كما عليه أن يحمي زوجة صديقه، فلا يعتدي عليهما، ولا يفكر بخدش شرفهما، حتى لو كانتا موصوفتين بالجمال، فيمتنع عنهما ويرفض الإغراء احترامًا لصلة صديقه أو جاره كما فعل حاتم الطائي حين وصف عفته ومروءته في الحفاظ على حرمة بيت الصديق فقال[٢٧]:

رُبَّ بَيْضَاءَ فَرْعُهَا يَتَثَنَّى ... قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيْتُ

لَمْ يَكُنْ بِي تَحَرُّجٌ غَيْرَ أَنِّي ... كُنْتُ خِدْنًا لِزَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ

وقال في المعنى نفسه[٢٨]:

وَلا يُلطَمُ ابْنُ العَمِّ وَسْطَ بُيُوتِنَا ... وَلا نَتَصَبَّى عِرْسَهُ حِيْنَ يَغْفَلُ

ويتوجب على الجار أن تكون أخلاقه حميدة، لتكون جاراته آمنات في حمايته. مثلما جاء في قول عمرو بن الإطنابة أحد بني الخزرج يصف أخلاقه وحمايته لجاراته[٢٩]:

إِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِيْنَ إِذَا انْتَدُوا ... بَدَؤُوا بِحَقِّ اللهِ ثُمَّ النَّائِلِ

المَانِعِيْنَ مِنَ الخَنَا جَارَاتِهِمْ ... وَالحَاشِدِيْنَ عَلَى طَعَامِ النَّازِلِ

---

[٢٦] الأفغاني، سعيد: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ط٢، (١٩٦٠م)، ص١٧٩.

[٢٧] الطائي، حاتم بن عبد الله: ديوان حاتم الطائي، تحقيق عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت)، ص٩١.

[٢٨] الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٢٣٢.

[٢٩] الألوسي، محمود شكري: عادات العرب في جاهليتهم، مختصر من كتاب بلوغ الأرب، المطبعة الرحمانية، (١٩٢٤م)، ص٥٩.

www.mtenback.com

حماية الجار للجارة والدفاع عنها:

تضطر المرأة لطلب الإجارة من الآخرين بمفردها، أو أنها تستجير مع أفراد أسرتها، وعلى الجار أن يدافع عن جاراته بكل ما يملك، مستهينًا بحياته وماله من أجل ذلك. وقد يقع المكروه للجارة وجارها عاجزٌ أو غائبٌ فيغلب على أمره، إلا أن العربي لا يترك الجار مهما كلفه ذلك من جهد، وقد يقوم قبل انتقامه بشرح موقفه وما أصاب جواره من الضيم، حتى يتعاطف العرب معه ويعينوه على الوفاء بالجوار. فعل ذلك أبو جُندب بن مرة القِرديّ، حين أجار رجلاً من كعب وامرأته، فأصبحت الكعبية جارة له، ولما مرض أبو جندب، استغل زهير اللحياني مرضه، فقتل جارَيْهِ، و لم يتمكن من الانتقام لمرضه، وما إن برأ من مرضه حتى توجه إلى مكة للتشهير باللّحياني، الذي اعتدى على جاريه، وللانتقام لهما منه. وعندما وصل مكة، راح يشكو من اعتدى على جواره في الحرم، وأعلن على الملأ ما حدث لجاره وجارته، وأنه سوف ينتقم لهما. ثم أنشد باكيًا عليهما:

إِنِّي امْرُؤٌ أَبْكِي عَلَى جَارَيَّهْ ... أَبْكِي عَلَى الكَعْبِيِّ والكَعْبِيَّهْ

وَلَوْ هَلَكْتُ بَكَيَا عَلَيَّهْ ... كَانَا مَكَانَ الثَّوْبِ مِنْ حِقْوَيَّهْ

وطاف حول الكعبة، ولما فرغ من طوافه، وقضى حاجته من مكة، استجاش الخلعاء من بكر، وخزاعة، على غرمائه من بني لحيان، فخرجوا معه، حتى صبح بهم بني لحيان في العَرج، فقتل فيهم، وسبى من نسائهم وذراريهم، وانتقم لجارته وجاره منهم[٣٠].

ولتمسك العرب واهتمامهم بحماية الجارات، فإن من كان يطلب شخصًا، ويعجز عن الوصول إليه، لا يجد أسهل من الاعتداء على جواره وهو يعرف أنه لن

---

[٣٠] البغدادي: خزانة الأدب، ج١، ص٢٩٢-٢٩٣؛ الخواجا، زهدي صبري: الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، دار الناصر للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، (١٤٠٤هـ)، ص٣٠٩.

www.mtenback.com

يصبر على خفر جواره وإن عجز عن حماية نفسه، فيخرج من مكمنه للدفاع عن حرمة الجوار.

فعل ذلك الملك النعمان بن امرئ القيس، حين عجز عن الوصول إلى الحارث ابن ظالم الذي قتل خالد بن جعفر الكلابي جار النعمان. وكان الحارث قد استجار بقبيلة طيّئ، واحتمى بجبالها. فلم يجد النعمان سبيلاً للوصول إليه، وإخراجه إلا إذا هاجم جاراته فلما اعتدى الملك عليهن وسباهن واستاق أموالهن خرج الحارث من مخبئه ليحمي جاراته رغم أنه كان عاجزًا عن حماية نفسه[٣١]. لكنه لم يشأ، أن يدع جاراته في يد النعمان، فاستعلم عن مكان جاراته، ومرعى إبلهن، فأتاهن، وأنقذهن، واستاق إبلهن، فألحقهن بقومهن. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أراد الحارث الانتقام من النعمان، وأن يكيل له الصاع صاعين، فقتل ابنه، الذي كان يرضع عند سلمى بنت ظالم، امرأة سنان بن أبي حارثة المرّي، وكانت لا تأمن أحدًا على ابن الملك. فاحتال الحارث عليها، واستعار سرج زوجها سنان، الذي أعاره له وهو لا يعلم ما يريد به. وأتى امرأة سنان بالسرج، وقال لها: يقول لك بعلك: ابعثي ابنك معي، فإنه يريد أن يستأمن لي الملك. وهذا سرجه آية ذلك. فأخذ الحارث شرحبيل ابن النعمان، فقتله انتقامًا لجاراته، ثم أنشد قائلاً[٣٢]:

أَخِصْيَ حِمَارٍ بَاتَ يَكْدُمُ نَجْمَةً ... أَتُأْكَلُ جَارَاتِي وَجَارُكَ سَالِمُ

فَإِنْ تَكُ أَذْوادًا أَصَبْتَ ونِسْوَةً ... فَهَذا ابْنُ سَلمى رأسُهُ مُتَفَاقِمُ

---

[٣١] الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص٢٠؛ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، دار صادر ودار بيروت، بيروت، لبنان، (١٩٦٥م)، ج١، ص٥٦٣.

[٣٢] ابن عبدربه الأندلسي، أحمد بن محمد: العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ج٦، ص١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج١، ص٥٦٣. ويجعلان صاحب القصة الأسود بن المنذر ملك الحيرة؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص١٩-٢٣.

www.mtenback.com

عَلَوْتُ بِذِي الحيَّاتِ مَفْـــرِقَ رَأْســـهِ ولا يَرْكَـــبُ المَكْـــرُوهَ إلاَّ الأَكَـــارِمُ
فَتَكْـــتُ بِـــهِ لَمَّـــا فَتَكْـــتُ بِخَـــالِدٍ وَكَانَ سِـــلاحِي تَحْتَوِيـــهِ الجَمَـــاجِمُ

واستجارت امرأة من الشام بقبر غالب بن صعصعة والد الشـــاعر الفـــرزدق، فأجارها الفرزدق وأعاد لها ابنها الذي جُنِّدَ في جيش تميم بن زيد في السند، وقـــال في ذلك[٣٣]:

تَمِيْمَ بْنَ زَيْدٍ!! لاَ تَهُونَـــنَّ حـــاجتي لَدَيْـــكَ وَلاَ يَعْيَـــا عَلَـــيَّ جَوَابُهـــا
وَلا تَقْلِبَنْ ظَهْرًا لِبَطْـــنٍ صَحِيْفَتِـــي فَشَـــاهِدُ هَاجِيْهَـــا عَلَيْـــكَ كِتَابُهـــا
وَهَبْ لِي خُنَيْسًا واتَّخِذْ فِيْـــهِ مِنَّـــةً لِحَوْبَـــةِ أُمٍّ مَـــا يَسُـــوغُ شَـــرَابُها
أَتَتْنِي فَعَـــاذَتْ يَـــا تَمِيْـــمُ بِغَـــالِبٍ وبِـــالحُفْرَةِ السَّـــافِي عَلَيْـــهِ تُرَابُهَـــا
وَقَدْ عَلِـــمَ الأَقْـــوَامُ أَنَّـــكَ مَـــاجِدٌ وَلَيْثٌ إِذَا مَا الحَرْبُ شَبَّ شِـــهَابُها

فلما ورد الكتاب على تميم بن زيد، تشكك في الاسم، أهو حُبَيْش أم حُنَيْـــش؟ فقال لرجاله: انظروا من له مثل هذا الاسم في عسكرنا. فأصيب ستة ما بين حُنَيْـــش وحُبَيْش، فوجه بهم إليه مع رسوله[٣٤].

وإذا كان العرب قد التزموا في الجاهلية وفي الإسلام بحماية الجارة، فقد اختلف الأمر في العصر الحديث وتنازعت الجوار سلطتان، السلطة القبلية التي ترى حماية الجارة والدفاع عنها، مهما كان الثمن غاليًا، وسلطة الدولة وقوانينها. فقد التزم العـــرب في البادية بحماية جاراتهم حماية سابغة شاملة، وذلك بكف الأذى عنهن من كـــل مـــن يحاول إيذاءهن، سواء أكان الأذى تعديًا على الجسم أو الشرف أو المال أو الحياة. فقد

[٣٣] الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج١، ص٨٦؛ الشعيبي: ملامح اجتماعية، ص٩٥-٩٦.
[٣٤] المبرد، الكامل، ج١، ص٨٧-٨٨.

www.mtenback.com

روي أن امرأة نزلت جارة على رجل اسمه (قفطان الحامد) في وقت الحصاد، وأخذ الحصادون يحصدون القمح، وهي تلتقط وراءهم، وتعدت حقوق اللقط إلى الأخذ من البيادر، فرآها أحد الحصادين وضربها بكتلة تراب على ظهرها، فجرحها. فأخبرت مجيرها بذلك، فاستاء، وأمر الحصّاد أن يقدم لها ثلاثة أحمال حنطة من حصته[٣٥].

ويلتزم المجير بكف الأذى عن جارته وحمايتها من أي شخص يعمل على إيذائها. وإذا تطلب الأمر، فإنه يسرع لنجدتها. وقد يصل الأمر إلى قتل من أهان جارته، أو أساء إليها، ولا يكون مسؤولاً عن دية، أو مطالبًا بثأر، لأنه قام بواجبه في حماية جارته. وليس هذا فحسب، بل إن المجير يتحمل كل المطالبات والالتزامات التي كانت على المرأة المستجيرة مهما كان نوعها[٣٦]. فالمجير يجير جارته على أقرب أقاربه، حتى لو كان ابنه. ويبدو ذلك جليًا من القصة التالية:

علم حمود السويط شيخ قبيلة الظفير أن ابنه قتل ابن جارة له في مشاحنة وقعت بينهما، فغضب حمود من ابنه وقرر قتله بابن جارته. وهدد حمود بأنه سوف يقتل نفسه بنفسه إن لم يُقتل ابنه انتقامًا لابن جارته، وحاول أعضاء الأسرة جاهدين حماية الفتى، إلا أن تصميم حمود دفعهم إلى قتله أمام أبيه، إنقاذًا لشرف القبيلة، والتزامًا بحماية الجارة[٣٧].

كما أن رجلاً من قبيلة قحطان ومعه زوجته وأبناؤه، استجار بالمبيعيج ناصر بن ولمان من الدواسر، فتنازع ابن الجار مع ابن المجير، فَقُتِل ابن الجار. وسمع المبيعيج

---

[٣٥] زناتي، محمود سلام: نظام الجوار أو حق اللجوء في الأعراف القبلية المعاصرة، دار أجأ، الرياض، ط١، (١٤١٤هـ) ص٥٨، نقلاً عن سلمان ، (الأرشمنديت بولس): خمسة أعوام في شرق الأردن، ص١٤١.

[٣٦] المصدر السابق، ص٦٣.

[٣٧] المصدر السابق، ص٥٩.

www.mtenback.com

بكاء جارته على ابنها، وهو لا يعلم بما حدث، وسأل عن سبب بكائها، فعلم أنها تبكي على ابنها الذي قتله ابنه. فغضب وقرر الانتقام لابن جارته بقتل ابنه بيده أمام جارته، وذلك لتبكي زوجته على ابنها، كما بكت جارته على ابنها، قائلاً: «فلتبك أم ابني، كما بكت أم مستجيري»[٣٨].

وقد يحمي الجار جاراته حتى لو تركن جواره وبعدن عنه فتبقى حرمة الجوار إلى حيث تصل سلطته[٣٩] وكان من الممكن أن يكون الجوار عن بعد، وبدون عقد. ومن الأمثلة على ذلك أن امرأة استجارت برجل تفصل بينها وبينه مسافات شاسعة دون أن يكون بينهما عقد. ولبّى مجيرها نداءها، وأخذ لها حقّها. فقد استجارت امرأة من نجد، بفارس مشهور من قبيلة الرولة، مكانه في بوادي الشام، طالبة منه أن يجيرها ويحميها من زوجها الذي كان يضربها. وسمع استجارتها بعض تجار الإبل الذين كانوا قرب منزلها، فنقلوا الخبر لمجيرها.

فعدّ الرويلي النجدية جارة له، وعليه حمايتها، وقرر الاستجابة لندائها. فجمع عبيده وأفراد قبيلته، وتوجه بهم من وراء النفود حتى وصل إلى مكان جارته، فأدب زوجها، وأعلمه بأن زوجته جارة له، وهدده بالقتل إن تسبب لها في الأذى مرة أخرى[٤٠].

وحماية الجارة في شرفها مهم جدًا، فعلى الجار أن يحميها ممن يحاول أن يريدها بسوء، وأن يعمم فعلته على كل الأرجاء التي يتمكن من التعميم عليها، لأن مثل هذا

---

[٣٨] زناتي: نظام الجوار، ص٦٠. نقلاً عن فهد المارك: من شيم العرب، ج٢، ص٨٤.

[٣٩] ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان: الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي، دار المعارف، القاهرة، ط١، (١٩٩٢م)، ص٣٣-٣٤.

[٤٠] زناتي: نظام الجوار، ص٣٦-٣٧. نقلاً عن موسل: أخلاق وعادات بدو الرويلة، ص٤٣٩.

www.mtenback.com

الفعل يمنع جميع القبائل من إجارة المعتدي وحمايته[٤١]. وهذا أشبه ما يكون بالخلع من القبيلة الذي كان معروفًا عند العرب في الجاهلية، ولكنه خلع عام، لا خلع من القبيلة التي ينتسب إليها فقط.

ومن الأمثلة السابقة يتضح جليًا، أن القبائل العربية ما زالت في العصر الحديث تحرص أشد الحرص على الوفاء بالتزامات الجوار للجارة، ولا تتردد لحظة واحدة في التضحية بكل غالٍ ورخيص من أجل إجارة الجارة، لأن في ذلك حفاظًا على سمعتها وشرفها، ولا تتوانى عن التضحية بأموالها وأرواح أبنائها، وأرواح أعز الناس لديها، دفاعًا عن الجارة، أو انتقامًا لها.

ويمكن القول بأن حق الجوار، بدأ يضعف في الربع الأخير من القرن العشرين بشكل عام. وكذلك إجارة الجارة، وترافق ذلك مع توطن البدو، واشتغالهم بالزراعة، بحيث أصبح إقرار الأمن، وفرض النظام يخضع لقوانين السلطة المركزية، التي تخضع لها البلاد، والدولة هي التي تتولى شؤون المخالفين الذي يضطرون إلى طلب الإجارة.

ويمر نظام الجوار حاليًا بمرحلة انتقالية، تتميز بنوع من الصراع بين شيوخ العشائر والقبائل الذين يجدون أنفسهم ملزمين بحكم العرف القبلي، والقيم العربية، بإجارة كل من يلوذ بهم، في الوقت الذي تطالب فيه السلطة المركزية، بتسليم كل من يلتجئ إليهم. ويحاول شيوخ القبائل احترام مقتضيات الجوار حفاظًا على سمعتهم ومكانتهم، وحماية لشرفهم وشرف عشائرهم وقبائلهم، ولكنهم يضطرون تحت ضغط ازدياد قوة الدولة، وعجزهم عن الوقوف في وجهها، إلى التخلي عن الإجارة[٤٢]، وخاصة إن كانت المستجيرة مطلوبة من قبل السلطة المركزية.

---

[٤١] زناتي: نظام الجوار، ص٥٠. نقلاً عن العبادي: من القيم البدوية، ص٢٢٨.

[٤٢] زناتي: نظام الجوار، ص٨١-٨٢، نقلاً عن بوركارت: ملاحظات، ج١، ص٣٣٢.

www.mtenback.com

حماية الجارة للجار:

كانت المرأة تجير وتستجير، فقد تجير قبيلة كاملة، وقد تجير شخصًا بعينه. فقد أجارت سبيعة بنت عبد شمس[٤٣]، قبيلة قريش وكنانة التي كانت في حرب مع قيس في أيام عكاظ، حين انهزمت قريش، ولاحقتها قيس. إذ جعلت سبيعة خباءها جوارًا لهم، وأعلنت أنّ من دخله حل في جوارها وجوار زوجها مسعود بن معتب الثقفي.

وحين دارت الدائرة على قيس وانهزمت، دخلوا خباء سبيعة مستجيرين بها، فأجار لها حرب بن أمية جيرانها، قائلاً لها، يا عمة: «من تمسك بأطناب خبائك، أو دار حوله فهو آمن» فنادت بذلك، فلم يبق أحد من قيس لا نجاة عنده إلاّ دار بخبائها، فقيل لذلك الموضع مدار قيس[٤٤].

وأجارت فكيهة بنت قتادة[٤٥]، الشاعر السليك بن السلكة الذي استجار بها، فأجارته، دون أن تعرف شيئًا عنه. وكان السليك هاربًا من قبيلة بكر بن وائل التي أرادت القبض عليه ومعاقبته، لأنه دخل بيوتهم.

ولما علم بنو بكر بجوار السليك، لحق به رجال منهم إلى دار فكيهة، فمنعته، ودافعت عنه حفاظًا على جوارها، ولما حاول البكريون الاعتداء عليها، ونزع خمارها، نادت طالبة المساعدة لحماية جارها. فأقبل إخوتها وأبناؤها وساعدوها على حمايته، فمدحها السليك بن السلكة، ذاكرًا إجارتها وحمايتها له، فقال[٤٦]:

---

[٤٣] هي سبيعة بنت عبد شمس القرشية الأموية، زوج مسعود بن معتب الثقفي.

[٤٤] الأصفهاني: الأغاني، ج٢٢، ص٧٤، ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٨؛ سنديوني، وفاء فهمي: شعراء صدر الإسلام وتمثلهم للقيم الاجتماعية، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، (١٩٨٣م)، ص٥٦؛ جاد المولى، محمد أحمد، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: أيام العرب في الجاهلية، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، د.ت، ص٣٣٤-٣٣٥.

[٤٥] هي فكيهة بنت قتادة من بني مالك بن ضبيعة، خالة طرفة بن العبد.

[٤٦] الأصفهاني: الأغاني، ج٤، ص٣٦٤؛ الزركلي، خير الدين: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٦، (١٩٨٤م).

www.mtenback.com

فَمَا عَجِزَتْ فُكَيْهَـــةُ يَـوْمَ قَـامَتْ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَانْتَشَـــلُوا الخِمَـارَا
مِنَ الخَفِـــرَاتِ لَـــمْ تَفْضَـــحْ أَبَاهَـــا وَلَـــمْ تَرْفَـــعْ لإِخْوَتِهَـــا شَـــــنَارَا

وأجارت ريطة بنت جذل، الشاعر دريد بن الصمة، وذلك حين وقع في أسـر بني مالك من كنانة، وأخفى دريد اسمه ونسبه عن آسريه، وعرفته ريطة، لأنه كان قـد أجارها حين هوجمت في وادٍ لكنانة، وأعطى رمحه للرجل الذي كان برفقتها ليدافـع عنها، وقد ردت ريطة له الجميل، فأعلنت أنها جارة له من بني مالك، فقبلوا جوارهـا، فكسته وجهزته، ثم أطلقته فلحق بقومه[٤٧]. وقد أنشدت بهذه المناسبة[٤٨]:

سَنَجْزِي دُرَيْدًا عَـــنْ رَبِيْعَـــةَ نِعْمَـــةً وَكُلُّ فَتًى يُجْزَى بِمَـا كَـانَ قَدَّمَـا
سَنَجْزِيهِ نُعْمَى لَـــمْ تَكُـــنْ بِصَغِـــيْرَةٍ بِإِعْطَائِهِ الرُّمْـــحَ السَّـــدِيْدَ المُقَوَّمَـا
فَفُكُّوا دُرَيْدًا مِـــنْ إِسَـــارِ مُخَـــارِقٍ وَلا تَجْعَلُوا البُؤْسَى إِلَى الشَّرِّ سُـــلَّمَا

كما أجارت حمدونة بنت عيسى بن موسى العباسي، محمد بن صالح[٤٩]، لأنه كان قد أجارها مع القافلة التي كانت فيها وخفرها وحماها. ولما سجن محمد بن صالح، جاءته حمدونة إلى السجن، وقدمت ما في وسعها لمساعدته بالمال، والثياب، والطيـب، والطعام. وسعت لإخراجه من السجن[٥٠].

---

[٤٧] ابن حبيب، محمد: المحبر، نشر ايلزة ليختن، حيدر آبـاد، مطبعـة المعـارف العثمانيـة، (١٩٤٢م) ص٤٣٣؛ جاد المولى، محمد أحمد، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: قصص العـرب، ج٤، ص٢٥٤-٢٥٧.

[٤٨] القالي، أبو علي: الأمالي، القاهرة، مطبعة دار الكتب (١٩٢٦م) ج٢، ص٢٧١.

[٤٩] محمد بن صالح من نسل علي بن أبي طالب (ت٢٣٨هـ).

[٥٠] جاد المولى، قصص العرب، ج٢، ص١٧٩-١٨١.

www.mtenback.com

وقد أجارت المرأة على الملوك أيضًا. فقد أجارت خماعة بنت محلم[٥١]، مروان القرظ[٥٢]، على ملك الحيرة عمرو بن هند[٥٣] في قصة طويلة، وذلك ردًا لجميل فعله معها حين وقعت في أسر بني عبس بعد وفاة زوجها ليث بن مالك. إذ إن مروان حين عرف نسبها، انتزعها من يد من أصابها، وقال لها: «غطّي وجهك، والله لا ينظر إليه عربي حتى أردك إلى أبيك» وضمّها إلى أهله، حتى إذا حل الشهر الحرام، أحسن كسوتها، وأكرمها، وحملها إلى أهلها، وأوصلها إلى قبة أبيها في عكاظ[٥٤].

وشاءت الظروف أن ترد خماعة لمروان جواره، ذلك أن عمرو بن هند، غضب عليه، وآلى ألا يعفوَ عنه حتى يضع يده في يده. وكان مروان يدرك أنه لو فعل فستكون نهايته، ولذلك فإنه استجار بخماعة بنت عوف، فأجارته.

ولما علم عمرو بن هند بمكان مروان القرظ، أرسل إلى عوف بن محلّم والد خماعة، يطلب منه تسليم مروان القرظ، ولكن عوفًا اعتذر له قائلاً: «قد أجارته ابنتي!! وليس إليه سبيل». فقال عمرو بن هند: «فقد آليت ألا أعفو عنه، أو يضع يده في يدي». فأرسل له عوف بن محلم قائلاً: على أن تكون يدي بينهما، فقبل عمرو بن هند ذلك[٥٥].

---

[٥١] خماعة بنت محلم بن ذهل بن شيبان، كان أبوها من أشراف العرب في الجاهلية، مطاعًا في قومه. طلب منه عمرو بن هند تسليم جار ابنته مروان القرظ، فامتنع حتى ضرب به المثل: «أوفى من عوف بن محلم». وكانت تضرب له قبة في عكاظ.

[٥٢] مروان القرظ بن زنباع، سمي بالقرظ لأنه كان يغزو اليمن، حيث منابت القرظ، يضرب به المثل في العز، لأنه من أشهر فرسان العرب، فيقال أعز من مروان القرظ.

[٥٣] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٨.

[٥٤] جاد المولى: قصص العرب، ج١، ص١٦٣-١٦٤.

[٥٥] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

هذا وإن كانت المرأة تجير في الجاهلية، فإنها لكذلك في الإسلام، فبنود الصحيفة التي أصدرها رسول الله ﷺ، أوضحت أن الأمة الإسلامية ملتزمة بمسؤولية الجوار الذي يمنحه أي فرد فيها، حتى لو كان أدناهم. فجاء قوله ﷺ: «ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم»[٥٦].

وأجارت المرأة الرجال منذ بداية الدعوة الإسلامية. فقد أجارت ضباعة بنت عامر بن قُرْط[٥٧]، الرسول ﷺ من قومها بني عامر حين دعاهم للإسلام في سوق عكاظ، فرفضوا دعوته، وآذوه، فثارت في قومها قائلة: «أيصنع هذا برسول الله بين أظهركم، لا يمنعه أحد فيكم». فقام بنو عمّها بإجارته وحمايته[٥٨].

وأجارت زينب بنت رسول الله ﷺ طليقها أبا العاص بن الربيع مرتين، إحداهما حين أسر في معركة بدر، فأرسلت قلادتها لتفتكه بها من الأسر، فلما رآها رسول الله ﷺ رقّ لها رقة شديدة، وقال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها الذي لها!!» فقالوا: نعم[٥٩].

وأجارته ثانية حين خرج بتجارة إلى الشام بماله، ومال كثير لقريش. وفي طريق عودته، لقيته سرية الرسول ﷺ، فأصابوا ما معه، وأعجزهم هربًا، فقدموا بما أصابوا.

---

[٥٦] ابن هشام، عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وزملاؤه، دار إحياء التراث، القاهرة، (١٩٣٦م)، ج٢، ص١٤٧، وهو جزء من الصحيفة التي أصدرها الرسول ﷺ حين دخل المدينة؛ الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (١٩٦٤م)، ج٢، ص٤٧١.

[٥٧] هي ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة الخير من بني قشير، صحابية شاعرة. كانت زوجة هشام بن المغيرة في الجاهلية، أسلمت في مكة أوائل ظهور الدعوة الإسلامية.

[٥٨] جاد المولى: قصص العرب، ج٤، ص٢٥٤-٢٥٧.

[٥٩] الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٦٨؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق حسن الأسد، أشرف على التحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، (١٩٨٢-١٩٨٥م) ج١، ص٣٣٢ وهامش ٢ لنفس الصفحة.

www.mtenback.com

وأقبل أبو العاص ليلاً حتى دخل على زينب مستجيراً بها، فأجارته. فلما كان رسول الله ﷺ والمسلمون في صلاة الصبح، نادت زينب رضي الله عنها من صفة النساء: «يا أيها الناس، قد أجرت أبا العاص بن الربيع». وبعث رسول الله ﷺ إلى رجال السرية الذين أصابوا ماله، قائلاً لهم: «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا تردوه، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم، فهو فيء الله، فأنتم أحق به»[٦٠]. قالوا: «بل نرده» فردوه كله. فذهب أبو العاص بالمال إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم عاد إلى المدينة، وأسلم وأعاد له رسول الله ﷺ زوجته زينب.

كما أجارت أم هانئ بنت أبي طالب ابنة عم رسول الله ﷺ، رجلين من بني مخزوم عام الفتح سنة (٩هـ/٦٣٠م). فدخل عليها أخوها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأراد قتلهما، فذهبت للرسول ﷺ وأخبرته بأنها أجارت رجلين، فأجابها ﷺ: «قد أجرنا من أجرت»[٦١].

وأجارت امرأة من الكوفة الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيّات[٦٢]، من الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي كان يطلبه وأهدر دمه، لأنه من أنصار مصعب بن الزبير. ولم يجد عبيد الله من يجيره من الخليفة عبد الملك، فدخل أول بيت وصل إليه، فوجد فيه امرأة استجار بها، فأجارته، وأجلسته في مَشْرُبَةٍ[٦٣]. وكانت تسمع النداء عليه والجعل، فلم تسلمه ولم تخفر جوارها.

---

(٦٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٣١٢-٣١٣؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٧٠-٤٧١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٣٣-٣٣٤؛ الديار بكري: حسين بن محمد: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، المطبعة الوهبية، القاهرة، (١٢٨٣هـ) ج١، ص٣٩٢-٣٩٣.

(٦١) البخاري، أبو عبد الله محمد: صحيح البخاري، تحقيق قاسم الرفاعي،(دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م) كتاب الأدب، ج٤، ص٥٧،٥٣٢، حديث رقم ١٣٣٨؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (المغازي)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، (١٩٨٩م)، ص٥٥٥-٥٥٦.

(٦٢) شاعر قريش في الإسلام، حمل لقب الرقيات، لأنه شبب بثلاث نسوة حملن اسم رقية.

(٦٣) المشربة: الغرفة أو العلّية.

www.mtenback.com

ولما توقف الطلب عنه أعدّت له راحلتين فيهما كل ما يحتاج إليه، وأعطته عبدًا، ونفقة الطريق، فسار حتى وصل مكة، ومنها إلى المدينة، حيث توسط له عبد العزيز بن مروان عند ابنته أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك، طالبًا منها إجارة عبيد الله، ففعلت، وشفعت له عند زوجها الوليد، فأمنه[٦٤].

ويتوجب على الجارة أن لا تسأل مجيرها بعض الأسئلة المحرجة التي تشعره بالغربة القسوة، فلا تسأل جارها عن أهله وأحوالهم، ولا تحاول معرفة إن كان له أهل أم لا، لأن ذلك يشعره بالذل، وأن جارته قد ملت جواره، وتتمنى عودته إلى أهله. وقد أنشد طرفة بن العبد شعرًا يوضح فيه الذل الذي شعر به حين سألته جارته إن كان له أهل، ومما قاله في ذلك[٦٥]:

وَجَارًا إِلَى جَارٍ وَإِتْلاَءِ ذِمَّةٍ ... وَفِي خُلَّةٍ مِنْ هَؤُلا وَأُولَئِكِ

وَلا غَرْوَ إلا جَارَتِي وَسُؤَالُهَا ... أَلاَ هَل لَنَا أَهْلٌ؟ سُئِلتِ كَذَلِكِ

تُغَيِّرُ سَيْرِي فِي البِلاَدِ وَرِحْلَتِي ... أَلاَ رُبَّ دَارٍ لِي سِوى حُرِّ دَارِكِ

ويتضح من الأمثلة التي ذكرت، أن المرأة كانت تجير، وتحافظ على جوارها، وقد أجارت في الجاهلية، كما أجارت في الإسلام، وأن المرأة كانت تجير الرجال، وجوارها معترف به، وقد التجأ إليها مستجيرًا كثير من الرجال، ووصل الأمر إلى حد إجارتها على الملوك.

جوار المكان:

لجارة السكن حقوق وواجبات على جيرانها، وهذه الحقوق فرضتها الأعراف القبلية، والمروءة، والتفاخر، وانتظار المدح في الجاهلية، وفرضها الدين الإسلامي،

---

[٦٤] جاد المولى، قصص العرب، ج٣، ص٤٠٣-٤٠٥.

[٦٥] طرفة بن العبد، عمرو بن العبد: ديوان طرفة بن العبد، شرح وتحقيق محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، (١٩٩٥م)، ص١٠٦.

www.mtenback.com

والأخلاق الحميدة التي تحلى بها الجيران بعد الإسلام ثانيًا. فالجيران أقرب النـــاس إلى الجارة، وأعلم بحالها.

ويصف لنا الشاعر جرير معرفة الجار بأخبار جيرانه، تلك المعرفة التي تجعله على تبيّن واستبصار بأحوال جيرانه وحقوقهم وواجباتهم، كان يدرك حاجـــاتهم، وقـــد يساعدهم في حلّها، فقال[٦٦]:

فِي الجَبَـــلِ الأَصَـــمِّ غَـــيْرِ الخَـــوَّارْ فَسَائِلِ الجِيرَانَ عَـــنْ جَـــارِ الـــدَّارْ

فَالجَـــارُ قَـــدْ يَعْلَـــمُ أَخْبَـــارَ الجَـــارْ وَاحْكُـــمْ عَلَـــى تَبَيُّـــنٍ وَاسْـــتِبْصَارْ

ويجمع الشاعر لبيد بن ربيعة الصفات والأخلاق التي يجب أن يتصف بها الجار مع جارته بحكم جوارها، فلها أن تحصل على كل ما تطمح إليه المرأة الشريفة، إذْ لهـــا ألا تجوع وهي بجواره، وألا تنالها مذمة منه، وألا يساء معها حديث، ولا يغتابها أحـــد، ولا يبهتها في حضورها، فقال[٦٧]:

وَجَارَتُـــهُ إِذَا حَلَّـــتْ إِلَيْـــهِ لَهَـــا نَفَـــلٌ وَحَـــظٌّ فِـــي السَّـــنَامِ

فَـــإِنْ تَقْعُـــدْ فَمُكْرَمَـــةٌ حَصَـــانٌ وَإِنْ تَظْعَـــنْ فَمُحْسَـــنَةُ الكَـــلاَمِ

وعلى العموم فإن الجوار يؤدي إلى علاقات واسعة، ومتعددة المناحي بين الجارة وجارتها من جهة، وإلى علاقة حماية، ورعاية، وإكرام من الجار. سندرس علاقة الجارة بجيرانها من هذين الوجهين بالتتابع.

علاقة الجارة بجاراتها:

تبدو علاقة الجارة مع جاراتها وطيدة، ويظهر منها ثقة الجارة بجاراتها، وحبها لهن. فهي دائمة السؤال عن أحوالهن، وإذا وجدت مجالاً لمساعدتهن قامت بذلك، كما

---

[٦٦] جرير، ابن عطية، الكلبي: ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق نعمان محمد أمـــين طـــه، دار المعارف، القاهرة، ط٣، (١٩٨٦م)، ج٢، ص٤٤٦.

[٦٧] لبيد بن ربيعة، ابن مالك العامري: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، (د.ت) ص٢٠٤؛ ابـــن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١١.

www.mtenback.com

أنها تستشيرهن، وتبوح لهن بأسرارها، وتتعاون معهن، إضافة إلى أنها تحترم حقوقهن.

ويبدو أن أسباب هذه العلاقة الطيبة بين الجارات تعود إلى:

حب الجارة لجاراتها: والاستئناس بوجودها بقربهن، وشعورها بالغربة حين تبتعد عنهن، يظهر ذلك من قول عنترة بن شداد عندما أبعد عبلة والدها إلى بني شيبان بعيداً عن جيرانها فوصف شوقها إلى وطنها وجيرانها قائلاً[٦٨]:

يَسْرِي بِجَارِيَةٍ تَنْهَلُّ أَدْمُعُهَا ... شَوْقًا إلى وطنٍ نَاءٍ وَجِيْرانِ

كما قال القَتّال الكلابي[٦٩]:

صَلَّى على عَمْرَةَ الرَّحْمَنُ وَابْنَتِهَا ... لَيْلَى وَصَلَّى على جَارَاتِهَا الأُخَرِ

هُنَّ الحَرَائِرُ لا رَبَّاتُ أَخْمِرَةٍ ... سُودُ المَحَاجِرِ لا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

ويتضح من كلام كثير عزة عن حبيبته ليلى، مدى عمق المحبة والعلاقة الطيبة بينها وبين جاراتها، حيث يقول[٧٠]:

بِلَيْلَى وَجَارَاتٍ لِلَيْلَى كَأَنَّهَا ... نِعَاجُ المَلاَ تُحْدَى بِهِنَّ الأَبَاعِرُ

وقيس بن الملوح عاشق ليلى يتساءل عن أحوال جاراته في البتيل فقال[٧١]:

وَهَل جَارَتَيْنَا بِالبَتِيْلِ إِلَى الحِمَى ... عَلى عَهْدِنَا أَمْ لَمْ تَدُومَا عَلى العَهْدِ

---

[٦٨] عنترة بن شداد: شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له وعلق حواشيه سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت) ص١٤٤.

[٦٩] القتال الكلابي: ديوان القتال الكلابي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (١٣٨١هـ)، ص٥٣. والمحاجر: ما يقع عليه النقاب من الوجه.

[٧٠] الأصفهاني: الأغاني، ج١، ص١٠٦.

[٧١] المصدر السابق، ج١، ص١٦٩.

www.mtenback.com

ومع حب الجارات لبعضهن، فإن الحسد قد يقع بينهن، قال بشار بن برد[٧٢]:

تَحْسُدُهَا الجَـــارَاتُ مِـــنْ حُسْـــنِهَا وَمِثْـــلُ عَبَّـــادَةَ فَلْيُحْسَـــــدِ

تبادل الهدايا بين الجارات: الهدية رسول المحبة، وقد ضربنا مثلاً لذلك بزوجة الشنفرى أميمة حين وصفها زوجها وأشاد بما تتحلى به من شيم وأخلاق كريمة[٧٣].

تبادل الزيارات بين الجارات: ومما لا شك فيه أن تبادل الزيارات دليل العلاقة الحسنة، وكان بعضهن يتخذن الزينة حين يقمن بزيـــارة جـــاراتهن، ويتهـــادين في حركاتهن، قال كعب بن جعيل يصف زيارة جارة لجاراتها[٧٤]:

فَـــإِذَا قَـــامَتْ إلى جَارَاتِهَـــا لاَحَتِ السَّـــاقُ بِخلخَـــالٍ زَجِـــل

صَعْـــدَةٌ نَابِتَـــةٌ في حَـــائِرٍ أَيْنَمَـــا الرِّيْـــحُ تُمَيِّلُهَـــا تَمِـــل

وقال المرار بن منقذ[٧٥]:

وَإِذَا تَمْشِـــي إلى جَارَاتِهَـــا لَـــمْ تَكَـــدْ تَبْلُـــغُ حَتَّـــى تَنْبَهِـــرْ

دَفَعَـــتْ رَبْلَتُهَـــا رَبْلَتَهَـــا وَتَهَـــادَتْ مِثْـــلَ مَيْـــلِ المُنْقَعِـــرْ

كما قال آخر[٧٦]:

هَجَـــرْتَ الرَّبَـــابَ وَجَارَاتِهَـــا وَهَمُّـــكَ بِالشَّـــوْقِ قَـــدْ يَطْـــرَحُ

---

[٧٢] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، ج٢، ص١٧٥.

[٧٣] راجع ص١٣ من هذا البحث.

[٧٤] تأبط شرًا: ديوان تأبط شرًا، ص١٤٦، هامش ٣ للصفحة نفسها، والصعدة، القناة، وقيـــل القنـــاة المستوية.

[٧٥] الضبي: المفضليات، ج١، ص٨٨، ١٥٧.

[٧٦] الجمحي، محمد بن سلام: طبقات فحول الشعراء، شرح: محمود شاكر، جامعة الإمام محمـــد، بـــن سعود، الرياض، (١٩٧٤) ج١، ص٢٩٥.

www.mtenback.com

يَمَانِيَـــةٌ نَـــــازِحٌ دَارُهَـــــا تُقِيْـــمُ بِغُمْـــدَانَ لا تَـــــبْرَحُ

وقال جعير العبسي بعد أن تزوج الحسن بن علي بن أبي طالب خولـــة بنـــت منظور الغطفانية يمدحها، ويمدح الحسن، ويذكر زيارة جارات خولة لها، وعدم زيارة الحسن لهن سرًا لحسن أخلاقه، فقال[٧٧]:

تَـــزُورُ جَارَاتِهَـــا وَهُـــنَّ فَوَاضِـــلٌ وَمَـــا فَتَـــاهُمْ لَهُـــنْ سِـــرًا بِـــزَاوَرِ

تَرْضَى قُرَيْشٌ بِهِمْ صِهْرًا لأَنْفُسِـــهِمْ وَهُمْ رِضًا لِبَنِـــي أُخْـــتٍ وَأَصْهَـــارِ

وقد يقع المرء في مشكلة شخصية عائلية فيحتاج إلى من يبوح إليه بسره ليعينـــه على مشكلته ويساعده على حلها، أو ينفس عنه ما يجد، وقد تكون بواعـــث هـــذه المشكلة خاصة والمرأة أكثر من يتعرض لهذا الحال وهي أشد ما تكون حاجة إلى مـــن تفضي إليه بسرها وليس أقرب من الجارة ولا أولى من المـــرأة أن تبـــوح بســـرها إلى أخرى، حتى إن كان في ذلك بعض ما لا يرضاه الزوج عندما تبيح أسراره.

فعلت ذلك زوجة أبي الأسود الدؤلي فاطمة بنت دعمي حين أحســـت أنـــه ضعف عما يطيقه الرجال فتنكرت له وساءت عشرتها معه، وأخذت تحدث جاراتهـــا عن حياتها الخاصة شاكية لهن ما تجد منه ومن علاقتها به، فتنبه أبو الأسود لما تقـــول وتشكو ووصف تجنيها عليه فقال[٧٨]:

ولا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلتُ فِي بَدْءِ أَمْرِنَـــا وَلو عَلِمَتْ مَا عُلِّمَـــتْ مـــا تَعَنَّـــتِ

تَشَـــكَّى إِلى جَارَاتِهَـــا وَبَنَاتِهَـــا إِذَا لَمْ تَجِـــدْ ذَنْبًـــا عَلَيْنَـــا تَجَنَّـــتِ

وحين تكون العلاقة بين الجارة وجارتها وطيدة جدًا، فإن الجارة تسر لها بأدق أسرارها، وتسألها رأيها فيما يقال عنها. فقد سألت ليلى حبيبة قيس جارتها من قبيلـــة

---

(٧٧) الأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص١٦٨.

(٧٨) المصدر السابق، ج١١، ص١١٦.

www.mtenback.com

عقيل، إن كانت تستحق ما وصفها به قيس من جمال، فأجابتها بأنه صادق في قوله، وأنها كما وصفها، ولما علم قيس بسؤال ليلى لجارتها، قال[٧٩]:

قَالَتْ لِجَارَتِهَا يَوْمًا تُسَائِلُهَا ... لَمَّا اسْتَحَمَّتْ فَأَلْقَتْ عِنْدَهَا السَّلَبَا

يَا عَمْرَكِ اللهُ إِلاَّ قُلْتِ صَادِقَةً ... أَصَادِقًا وَصَفَ الْمَجْنُونُ أَمْ كَذَبَا

ويؤكد ذلك ما قاله عمر بن أبي ربيعة[٨٠]:

وَلَقَدْ قَالَتْ لِجَارَاتٍ لَهَا ... كَالْمَهَا يَلْعَبْنَ فِي حُجْرَتِهَا

خُذْنَ عَنِّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُنِي ... وَمَضَتْ تَسْعَى إِلَى قُبَّتِهَا

وقد تخبر الجارة جارتها بما يحدث، وتطمئنها، قال ذو الرمة[٨١]:

تَقُولُ الَّتِي أَمْسَتْ خُلُوفًا رِجَالُهَا ... يُغِيرُونَ فَوْقَ الْمُلْجَمَاتِ الْعَوَالِكِ

لِجَارَتِهَا: أَفْنَى اللُّصُوصَ ابنُ مُنْذِرٍ ... فَلا ضَيْرَ أَلاَّ تُغْلِقِي بَابَ دَارِكِ

وقال بشار بن برد، يريد أن يصوّر ما تركه من إعجاب في نفس فتاةٍ زار أهلها[٨٢]:

قَالَتْ لِجَارَتِهَا: أَتَانَا زَائِرٌ ... رَقَّتْ لَهُ كَبِدِيْ وَلَانَ جَنَاحِي

وقال أيضًا، جاعلاً من عشق جارية له همّها الكبير[٨٣]:

يَا رُبَّ قَائِلَةٍ يَوْمًا لِجَارَتِهَا ... إِنَّ الْمُرَعَّثَ هَمِّي غَابَ أَوْ شَهِدَا

---

[٧٩] الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص٢-٣.

[٨٠] المصدر السابق، ج٧، ص١٢٨.

[٨١] ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي: ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس، أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٢، (١٩٨٢م) ج٢، ص٦٦١.

[٨٢] بشار بن برد: ديوان بشار بن برد، ج٢، ص١٣٣.

[٨٣] المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨.

www.mtenback.com

وإذا علمت الجارة سوء علاقة بين جارتها وحبيبها، فإنها تحاول حل الخلاف بينهما، وتقريب وجهة النظر، مع المحافظة على عفة الجارات وقد تخيل هذه العلاقة عمر بن أبي ربيعة في شعره الذي يصف به أحاسيس المرأة وأحاديثها وخلجات نفسها، وما تبوح به من حب وما تعانيه من تحفظ تقتضيه طبيعة المرأة فقال على لسانها[٨٤]:

قَالَتْ عَلى رِقْبَةٍ يَومًا لِجَارَتِهَا ... مَا تَأْمِرِيْنَ فَإِنَّ القَلْبَ قَدْ تُبِلا

فَجَاوَبَتْهَا حَصَانٌ غَيْرُ فَاحِشَةٍ ... بِرَجْعِ قولٍ، وَأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ خَطِلا

اقْنِي حَيَاءَكِ فِي سِتْرٍ وَفِي كَرَمٍ ... فَلسْتِ أَوَّلَ أُنْثَى عُلِّقَتْ رَجُلا

لا تُظْهِرِي حُبَّهُ حَتَّى أُرَاجِعَهُ ... إِنِّي سَأَكْفِيكِهِ إِنْ لَمْ أَمُتْ عَجَلا

ومن خلق الجارة واحترام مكانتها، ألا تحاول جارتها الاطلاع على سرها، ولا تبحث عنه أو تفتش عن مكامنه، ولا تحرص على أن تكتشف ما لديها من أسرار، وتلك فضيلة للمرأة ومديح لسلوكها وأخلاقها إذا فعلت ذلك. وهذا الأعشى يصف خلقها بشعره فيقول[٨٥]:

لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيْرَانُ طَلْعَتَهَا ... وَلا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرُّ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

التعاون بين الجارات: التعاون بين الجارات معروف في الجاهلية والإسلام، ومن أمثلة التعاون بينهن في الإسلام، تعاون أسماء بنت أبي بكر مع جاراتها، اللواتي كن

---

[٨٤] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٣م)، ص٣٥٨. واقنى حياءك: احتفظي بحيائك.

[٨٥] الأعشى: ديوان الأعشى الكبير، ص١٠٥؛ الشنقيطي، أحمد: شرح المعلقات العشر، وأخبار شعرائها، دار الأندلس، بيروت، ط٥، (١٤٠٤هـ) ص١٨٤.

www.mtenback.com

يساعدنها في جميع أعمالها، وخاصة في خبز الخبز. وقد ذكرت أسماء ذلك، فقالت: «تزوجني الزبير بن العوام وماله شيء غير فرسه، فكنت أعلفُهُ وأسوسه، وأدق النوى لناضحه[٨٦]، وأعلفه، وأستقي وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق...)[٨٧].

واستمر التعاون بين الجارات حتى نهاية الربع الثالث من القرن العشرين. فقد كانت الجارات يساعدن جاراتهن في أعمال المنزل، ويشاركنهن في أفراحهن، وأتراحهن، ويلبين حاجات الجارة في غياب زوجها وحضوره، وقد وجدت نماذج من التعاون بين الجارات في المدينة المنورة من القرن العاشر الهجري حتى القرن الخامس عشر، أي من القرن السادس عشر الميلادي حتى العشرين، ومما لا شك فيه أن هذه النماذج كان لها مثيلاتها في المدن الأخرى، سواء في الجزيرة العربية، أم في غيرها من مدن بلاد العرب والإسلام.

ومن مظاهر هذا التعاون، أن الجارة إذا احتاجت إلى طلب شيء من بيت جارتها في حال غياب زوجها في عمله، كأن تحتاج إلى ملح، أو كبريت، أو زيت، أو خبز، أو غيره، فإنها لا تحتاج إلى أكثر من أن تصفق بكلتا يديها، فتلبي الجارة حاجتها مناولة باليد. وقد ساعد على ذلك أن الشوارع كانت ضيقة، فلا يفصل بين النوافذ المتقابلة، أكثر من متر أو متر ونصف[٨٨].

وكانت الجارات في المدينة المنورة يتعاون في خبز الخبز، فتقوم ربة البيت بنخل الدقيق بعد وضع الخميرة فيه، ثم تجعله أقراصًا. وإن لم يكن ربّ الدار موجودًا، وليس عند الجارة من يحمل لها الأقراص إلى الفرن، فإنها تكلف أحد أبناء الجيران بحملها إلى

---

[٨٦] الناضح: البعير يستقى عليه.

[٨٧] الذهبي: تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات، ٦١-٨٠هـ، ص٣٥٥.

[٨٨] الخزرجي، عبد الله فرج الزامل: المدينة المنورة، عاداتها وتقاليدها منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩هـ، مطبوعات تهامة، جدة، ط١، (١٩٩١م) ص١١.

www.mtenback.com

الفرن، وإعادتها بعد خبزها. وهو يقوم بهذا العمل خدمة للجارة، برحابة صدر، دون أن يشعر بإزعاج، فكأنه يقوم بخدمة والدته[٨٩].

كما كانت الجارات يتعاونّ في غياب أزواجهن في طلب المعيشة، فيجتمعن بعضهن مع بعض اجتماع مودة وتعاون، فيتساعدن في الطبخ وكل ما يتعلق به[٩٠] ولم تكن إحداهن تشعر بالحاجة إلى خادمة في بيتها، لأنها إذا اضطرت إلى مساعدة، طلبتها من جاراتها، وهي كذلك تقدم لهن المساعدة.

ولا يقتصر التعاون بين الجارات على الطعام، بل يتعداه إلى خياطة الملابس، إذ تقوم الجارة بتفصيل ملابسها، وملابس أبنائها، وملابس زوجها أحيانًا، بعد فراغها من أعمال المنزل اليومية، وتساعدها جاراتها في خياطتها[٩١].

والجارات يشاركن جارتهن في الأفراح، فعند عقد قران الجارة لأحد أولادها، فإنها تدعو جاراتها إلى الحفل قبل أقاربها، لمشاركتها في فرحتها. كما أن الجارات يلبين الدعوة، ويقمن بكل ما يتوجب عليهن في مثل هذه المناسبة السعيدة[٩٢].

وتساعد الجارة جارتها ــ أم العروس ــ في تجهيز العروس، وشراء كل ما يلزمها[٩٣]. كما أنهن يشاركن في تقديم الهدايا[٩٤].

كما تشارك الجارة جارتها، في الاحتفال بختم ابن جارتها للقرآن الكريم، فتهنئ جارتها بختم ولدها للقرآن. كما تعمل على تقديم الهدايا النقدية في هذه المناسبة، كل على قدر طاقته، كما فعلن عند زواج ابن وابنة الجارة[٩٥].

---

(٨٩) الخزرجي: المدينة المنورة، ص١٤.

(٩٠) المصدر السابق، ص١٧.

(٩١) المصدر السابق نفسه.

(٩٢) المصدر السابق، ص١٨.

(٩٣) المصدر السابق، ص١٩-٢٠.

(٩٤) المصدر السابق، ص٣٥.

(٩٥) المصدر السابق، ص٣٤-٣٥.

www.mtenback.com

كما تشارك الجارة جارتها في حال مرض أحد أفراد أسرتها، فإذا أصيب أحد أبناء الجارة بمرض، فإن بقية الجارات يقدمن ما يستطعن تقديمه من مساعدة، إلى جانب أشياء عينية، كتقديم الحَبِّ، والخبز، والزبيب، والتمر، والجبن، والسمن، واللوز وغيره من الزاد الخفيف، مما يحفظ في دورهن. وتصنع أم الطفل المريض طعامًا مما جُمع لديها، تقدمه لأبناء الجيران الذين يحضرون إلى زميلهم المريض لتسليته، وتخفيف وطأة المرض عنه[٩٦].

الاحترام المتبادل بين الجارات: ومن مظاهر الاحترام المتبادل بين الجارات الاعتذار منهن في حال حدوث أي خطأ غير مقصود من إحداهن. وتتضح مراعاة الجارة لجارتها، والاعتذار لها في حال حدوث أي خطأ غير مقصود مما فعلته زوجة طلحة بن مصرّف[٩٧] حين دخلت عليها جارية إحدى جاراتها تقتبس نارًا. وكان طلحة صائمًا ويصلي. فطلبت زوجة طلحة من الجارية أن تبقى عندها، ريثما تشوي القديد لطلحة، فلما أنهى طلحة صلاته، امتنع عن تناول الطعام حتى تعتذر زوجته إلى جارتها، وتعلمها أنها هي التي تسببت في تأخير الجارية، لتقوم بشيِّ الطعام لزوجها[٩٨].

وكان الشعراء يمدحون بحسن معاملة الجارات بعضهن بعضًا، كذلك يفعلون إن أرادوا الرثاء، و لم يجدوا خصلة حميدة للمدح أو الرثاء أفضل من حسن معاملة الجارة لجاراتها. قال جرير يرثي زوجته خالدة من كليب، وهي أم ابنه حرزة، فوصفها بحسن علاقتها مع جيرانها، فقال[٩٩]:

---

[٩٦] الخزرجي: المدينة المنورة، ص٣٥-٣٦.

[٩٧] هو طلحة بن مصرّف بن عمرو بن كعب أبو عبد الله، كان قارئ أهل الكوفة، يقرؤون عليه القرآن، وله كثير من التلامذة. كان ثقة عابدًا صالحًا. سمع من أنس بن مالك، وابن أبي أوفى، وغيرهما. انظر عنه ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٩٩٢م) ج٧، ص١٥٤.

[٩٨] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، (١٩٩٢م)، ج٧، ص١٥٤.

[٩٩] جرير: ديوان جرير، ج٣، ص٨٦٣.

www.mtenback.com

كَانَتْ مُكَرَّمَةَ العَشِيْرِ وَلَمْ يَكُنْ يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَرْزَةَ جَارُ

ورغم أن العلاقة بين الجارات كان يغلب عليها الصراحة، والحب، والتعاون، إلا أن بعض الجارات تعففن عن إظهار حاجتهن المادية لجاراتهن، ولم يتعودن على سعي الإماء في الحاجات. قال الشاعر أبو الذيال يصف تعفف إحداهن عن سؤال جاراتها[١٠٠]:

تَمْشِي إِلَى نَحْوِ بَيْتِ جَارَتِهَا وَاضِعَةً كَفَّهَا عَلَى الكَبِدِ

ولا تحتاج الجارة غالبًا إلى سؤال جاراتها، لأنهن مطلعات على أحوال بعضهن، ويعملن على سد الحاجات، دون طلب معلن.

وقد جرت العادة بين الجارات أن تقوم الجارة التي تنتقل من سكنها بوداع جاراتها. وقد وصف الشاعر زيد الخيل وداع أم أسود لجاراتها، فقال[١٠١]:

أَلاَ وَدَّعَتْ جِيْرَانَهَا أُمُّ أَسْوَدَا وَضَنَّتْ عَلَى ذِيْ حَاجَةٍ، أَنْ يُزَوَّدَا

وقد يحدث أن تخرج الجارة عن العادة المتعارف عليها في وداع جيرانها، فترحل دون وداعهم. وقد وصف لنا الشنفرى ذلك بقوله[١٠٢]:

أَلاَ أُمَّ عَمْرٍو أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتِ وَمَا وَدَّعَتْ جِيْرَانَهَا، إِذْ تَوَلَّتِ

وبالرغم من العلاقة الطيبة والحميمة بين الجارة وجاراتها، فإن بعض الجارات لا يرغبن بزيارة جاراتهن، متعللات ببعض الأسباب، مع حسن معاملة جاراتهن إليهن. قال أبو قيس بن الأسلت، يصف ابتعاد إحدى الجارات عن جيرانها، مع إكرامهن لها[١٠٣]:

---

(١٠٠) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٢٩٢.

(١٠١) حاتم الطائي، بن عبد الله: ديوان حاتم الطائي، ص٤٠.

(١٠٢) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٣١؛ حفني: شعر الصعاليك، ص٤٠٢. وأجمت: قررت الفراق. استقلت: رحلت. والمقصود هنا تغزل، ونسيب وليس محض الجيرة.

(١٠٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار، ج٣، ص٢٥؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص١٥٩.

www.mtenback.com

وَيُكْرِمُنهـا جَارَاتُهَـا فَيَزُرْنَهَـا وَتَعْتَـلُّ عَـنْ إِتْيَـانِهِنَّ فَتُعْـذَرُ
وَلَيْـسَ لَهَـا أَنْ تَسْـتَهِيْنَ بِجَـارَةٍ وَلَكِنَّهَـا مِنْهُـنَّ تَحيَـا وَتَخْفَـرُ
وَإِنْ هِيَ لَـمْ تَـبْرُزْ لَهُـنَّ أَتَيْنَهَـا نَوَاعِـمُ بِيْـضٌ مَشْـيُهُنَّ التَّـأَطُّرُ

كما وصفت أعرابية حالها في زيارة جيرانها، وأنها تزورهم إذا لم تجد سببًا للامتناع عن الزيارة، وهي صريحة في وصف نفسها، وتوضح أنها تزورهم إذا لم تجد سببًا تحتج به عن امتناعها، ولذلك فهي لا تستحق الحمد على زيارتها لهن، فتقول[١٠٤]:

فَلاَ تَحْمَدُونِـي فِي الزِّيَـارَةِ إِنَّنِـي أَزُورُكُم إِنْ لَـمْ أَجِـدْ مُتَعَـلَّلا

وهكذا فإن الجارة كانت تحسن معاملة جاراتها، وتعرف لهن حقهن. وهذه المعاملة عرف طبيعي تعارف عليه الجيران، ودينٌ دانوا به. ومن يخرج عن هذا العرف والدين، لحقه عار عظيم، ولذلك فإن من أراد أن يذم شخصًا وصفه بسوء الخلق مع جاره، أو جارته. ومن الأمثلة على ذلك، أن أبا الأسود الدؤلي حين اختلف مع زوجته، وذهبا إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وأخذ كل منهما يظهر مثالب الآخر، وصف زوجته قائلاً: «مسيئة إلى الجار، مظهرة للعار، إن رأت خيرًا كتمته، وإن رأت شرًا أذاعته»[١٠٥]، فقدم أبو الأسود إساءتها للجار على كل عيوبها الأخرى، لأنه خروج عن المألوف. ووصفته زوجته لمعاوية بقولها: «إذا ذكر الجود انقمع... وجاره ضائع، لا يحفظ جارًا، ولا يحمي ذمارًا»[١٠٦].

فكلا الزوجين حين أراد أن يجد مثلبة لصاحبه جعله لا أخلاق له، ولم يجد أفضل من ذكر سوء معاملة الآخر للجارة والجار، وعدم إكرامهما.

---

[١٠٤] الضبي: المفضليات، ج١، ص١٠٧، ٢٠٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١٥، ص١٥٩.

[١٠٥] جاد المولى: قصص العرب، ج٢، ص١٠٤.

[١٠٦] جاد المولى: قصص العرب، ج٢، ص١٠٤-١٠٥.

www.mtenback.com

وأخيراً يمكن القول، بأن علاقة الجارة بجاراتها، غلب عليها حسن الجوار، فكانت الجارة تتفقد جارتها، وتعينها في أعمالها، وتسر لها أسرارها. ومن لم تكن تتمثل هذه الأخلاق، تصبح تصرفاتها سبّة عليها.

حق الجارة على الجار:

للجارة على الجار حقوق تفوق حقوق أي فرد آخر من أفراد الجيران، ذلك لأن الجارة هي الشخص الأكثر ضعفًا، ويطمع الكثيرون بها، ولذلك فإنها تحتاج إلى أن يحميها جارها، ويحفظ سرها ويستر عوراتها، ويتعهدها بالإنفاق المادي، والإكرام.

وأولى مظاهر حماية الجارة حفظ عرضها وذلك بغض البصر، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾[١٠٧]، كما قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١٠٨].

ودعمت السنة الشريفة، حرمة الجارة، فجعلتها كحرمة الأم[١٠٩]. عن ابن شريح أن رسول الله ﷺ قال: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[١١٠]. ومن أولى هذه البوائق، أن يحاول الجار مس شرف جاره في أهل بيته.

---

[١٠٧] سورة النور: ٣٠.

[١٠٨] سورة النساء: ٣٦. وعن علي وابن مسعود أن «الجار ذي القربى» يعني المرأة زوجة الرجل فهي جارته. انظر: ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء: تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت) ج٢، ص٢٦١؛ أمان، عاطف أحمد قبش: من مكارم الأخلاق، مكتبة المدارس، القاهرة، (١٩٨٨م) ص٥٦.

[١٠٩] زادة، السيد علي: شرح شرعة الإسلام، وبهامشه إحدى عشر رسالة مفيدة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) ص٤٢٩.

[١١٠] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ص٥٣.

www.mtenback.com

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن تطعمه»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تزاني بحليلة جارك»[١١١].

ومع أن الإسلام حرم الكبائر ومنها الزنا فإنه ضاعف إثمه حين يكون بين الجار وجارته وجعله من أشد العقوبات يعادل الزنا بعشر نسوة، يتضح ذلك مما قاله المقداد ابن الأسود، أن رسول الله ﷺ قال: «ما تقولون في السرقة؟» قلنا: حرمها الله، قال: «لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر من أن يسرق من بيت جاره» فما تقولون في الزنا؟ قلنا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام. قال: «لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»[١١٢].

وهكذا فإن فعل الخير مع الجارة ثوابه كبير، كما أن الإثم معها عقابه أكبر. ولذلك فإن السكنى قرب جارة صالحة نعمة من النعم التي يمنها الله على الجار. قالت عائشة رضي الله عنها تمدح جيرة الأنصار: «ما تبالي المرأة إذا نزلت بين بيتين من الأنصار صالحين، ألا تنزل من أبويها»[١١٣].

وزخر الأدب العربي شعرًا ونثرًا بالحديث عن حماية الجارة، وذكر لها حقوقًا على جارها تجعلها موفورة العرض، مصونة الجانب، وافرة الشرف حصانًا، وبعيدة عن موضع الشك والريبة، يعمل جارها جهده للمحافظة على شرفها وسمعتها من نفسه أولاً، ومن المحيطين بها ثانيًا.

---

[١١١] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، وكتاب الديات، وكتاب الحدود (باب ٢٠) وكتاب التوحيد (باب ٤٠)؛ مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، المطبعة الأميرية، القاهرة، (١٢٩٠هـ) كتاب الإيمان، ج٢، ص٢٦١، حديث ١٤٢.

[١١٢] البخاري، أبو عبد الله محمد: الأدب المفرد، ترتيب وتقديم كمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (١٤٠٤هـ) ص٥١-٥٢.

[١١٣] ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج٣، ص٢٣.

www.mtenback.com

وقدم لنا أحمد بن علي الحراني، نصائح وضح بها طريقة معاملة الجار لجارته، وجاره، ليقوم بحق الجوار. ومن أولى هذه النصائح، أن على الجار أن يحافظ على سر منزل جاره، ولا ينقل أخبار جارته إلى أحد، وأن يحمي جيرانه وكل ما يخصهم، وأن يكون أمينًا مع جاره يحفظه في أهله، وناصرًا له، ويبتعد عن كل ما يسوؤه. كما عليه أن يكون لين المعشر كريمًا، فقال[١١٤]:

وَالجَارُ لاَ تَذْكُرْ كَرِيْمَةَ بَيْتِهِ ... وَاْغْضَبْ لِكَلبِ الجَارِ إِنْ هُوَ أَغْضَبَا

احْفَظْ أَمَانَتَهُ وَكُنْ عِزًّا لَهُ ... أَبَدًا وَمِمَّا سَاءَهُ فَتَجَنَّبَا

كُنْ لَيِّنًا لِلجَارِ وَاحْفَظْ حَقَّهُ ... كَرَمًا وَلاَتَكُ لِلمُجَاوِرِ عَقْرَبَا

ويتضح لنا أن الجارة تحتاج من الجار إلى الحماية، وحفظ السر، وستر العورات،والإنفاق، والإكرام. وقد تكون أخلاق الجار الحسنة من مروءة، وحب للخير هي التي تدفعه إلى ذلك. وقد يقوم بذلك رغبة في أن ينال المدح في حياته وبعد مماته. وسنتناول هذه الحقوق التي فرضتها الأخلاق والأعراف العربية النقية في الجاهلية، وفرضها الدين الإسلامي، وهي:

حماية الجارة:

أول ما يجب للجارة حماية العرض، وأول ذلك التعفف من النظر إليها لأنه يتكشف من أمرها للجار ما لا يتكشف لغيره، وقد أمرنا الإسلام بغض البصر، قال الله تعالى: ﴿قُل لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبصَارِهِمْ﴾[١١٥].

---

[١١٤] ابن سهل السامري الخرائطي، محمد بن جعفر: مكارم الأخلاق ومعاليها، راجعه عبد الله بن حجاج، نشر مكتبة السلام العالمية (د.ت)، ص٤٦.

[١١٥] سورة النور: ٣٠.

www.mtenback.com

وحظيت الجارة في العصر الجاهلي بمكانة كبيرة، وحماية فائقة لم يوجد مثلها في الأمم القديمة ولا في عاداتها وتقاليدها. وقد ظهر ذلك واضحًا في أشعار هذه الفترة، وبما أن الشعر ديوان العرب، فإن تلك الأشعار تعد صورة صادقة لحماية الجارة. فحق الجارة عند عنترة بن شداد له مظهران:

أولهما: تجنب التحرش بها، بل حفظها وحمايتها، ورعايتها. والدافع عنده إلى هذه الحماية كرم خلقه، وجميل صفاته. فإذا مرت به جارته، غض طرفه، وكف يده ولسانه. وأنشد موضحًا سلوكه وخلقه قائلاً[116]:

وَأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي ... حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي مَأْوَاهَا

إِنِّي امْرُؤٌ سَمْحُ الخَلِيْقَةِ مَاجِدٌ ... لا أُتْبِعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ هَوَاهَا

كما قال أيضًا[117]:

وَإِنِّي عَزِيْزُ الجَارِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَأُكْرِمُ نَفْسِي أَنْ يَهُونَ مَقَامِي

فعنترة يصور المروءة العربية الجاهلية كاملة، وفيها العفة، واحترام العرض، وحماية الجار في عرضه وأهله، ولا يسمح لأهوائه ونزواته بالسيطرة عليه، فهو يتسامى في خلقه، ويرعى جاراته، فإذا مَرَّت به جارة غض من طرفه، وكف يده ولسانه.

وثانيهما: رفع الشبهة عنه، وإبعاد نفسه عن مواطن الشك والريبة، والاحتراز من ألسنة الناس، فهو يزور نساء الحي أو قريباته ما دام أزواجهن حاضرين موجودين، وبذلك يحفظ نفسه من ألسنة من يراقب تصرفاته، فلا تناله سهام الظن. فإذا خرج أزواج جاراته من بيوتهم، سواء أكان ذلك إلى الحرب، أم إلى غاية أخرى، امتنع عنترة عن زيارتهن، حتى لو كُنَّ قريبات له نسبًا، أو كن من نساء القبيلة، فقال[118]:

---

[116] عنترة: ديوان عنترة، ص٢٢٩.

[117] المصدر السابق، ص١٤٤-١٤٥.

[118] المصدر السابق، ص٨٨.

www.mtenback.com

أَغْشَى فَتَــاةَ الحَــيِّ عِنْــدَ حَلِيْلِهَــا وَإِذَا غَــزَا فِي الحَــرْبِ لا أَغْشَــاهَا

ويحمل عنترة نفسه مهمة حماية جيرانه، ومن المؤكد أن الجارة تأخذ نصيبًا أكبر من هذه الحماية، لأنها العنصر الذي يحتاج إلى حماية، ولذلك فهو يرى بأن جيرانه قــد يصيبهم الذل إذا غاب عنهم لعدم وجود من يقوم مقامه في حمايتهم، ويــزداد الأمــر سوءًا إذا طالت فترة غيابه، فيقول[١١٩]:

فَوَاذُلَّ جِــيْرَانِي إِذَا غِبْــتُ عَنْهُــمُ وَطَالَ المَدَى مَاذَا يُلاَقُونَ مِنْ بَعْــدِي

كما أن جارة حاتم الطائي عفيفة لا تتهم بالزنا، وهو يعف عن النيــل منهــا، وكرمه يصلها حيث هي، فهي آمنة في الشتاء حين يقل الطعام وينــدر إلى درجــة لا تمكن الرجل الغني من الحصول عليه. عندئذ يقوم على مؤونتها ويحفظ لها كرامتها فــلا تتعرض لما يسيء إليها فيقول[١٢٠]:

وَجَــارَتُهُم حَصَــانٌ مَــا تُزَنَّــى وَطَاعِمَــةُ الشِّــتاءِ فَمَــا تَجُــوعُ

ويلح حاتم الطائي على أنّ جارته في جواره تبقى موفورة العــرض، مصونــة الجانب، وافرة الشرف حصانًا لا تمسها يد بأذى، بعيدة عن كل ريبة، فتبدأ حمايته لهــا بصون عفافها من المحيطين بها والطارئين عليها، ويبدأ بنفسه، فهــو نمــوذج يحتــذى لحصانة الجارة، لا يفعل المنكر معها، بل لا تحدثه نفسه بزيارتها تحت جنح الليل حتى لا يسيء إلى سمعتها وسمعته، فيقول[١٢١]:

إِذَا مَا بِتُّ أَخْتِــلُ عِــرْسَ جَــارِي لِيُخْفِيْنِــي الظَّــلاَمُ فَــلاَ خَفِيْــتُ

---

[١١٩] عنترة: ديوان عنترة، ص٥٠.

[١٢٠] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٤٨؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠١.

[١٢١] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص١٤٨؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص٩٧.

www.mtenback.com

أَأَفْضَحُ جَـــارَتِيْ وَأَخُـــونُ جَـــارِي مَعَـــاذَ اللهِ أَفْعَـــلُ مَـــا حَيِيْـــتُ

ويصف حاتم الطائي ترفعه عن إيذاء جاراته، وأنه لا يسير إلى الجارة في الليـــل، فطارق الليل يجب أن لا يطرقه إلا لخير. وهذا المبدأ الذي أقره الإسلام كان عرفًـــا في الجاهلية. فحاتم لا يطرق الباب على جارته في الليل، أو بعد مضي جزء منـــه، إلا إذا كان يريد أن يكرمها، أو أن يقدم لها شيئًا هي بحاجة إليه، وهذا سمو في الأخـــلاق لا ينكر، فيقول[١٢٢]:

لاَ نَطْرُقُ الجَارَاتِ من بَعْـــدِ هَجْعَـــةٍ مِـــن اللَّيْـــلِ إلاَّ بالهَدِيَّـــةِ تُحْمَـــلُ

وَلاَ يُلطَمُ ابنُ العَـــمِّ وَسْـــطَ بُيُوتِنَـــا ولاَ نَتَصَبَّـــى عِرْسَـــهُ حَيْـــنَ يَغْفُـــلُ

ويبدو حرص حاتم الطائي على عدم إيذاء جارته، وحرصه على حصانتها من أنه لا يتردد إليها في غياب زوجها، لأن ذلك قد يعرضها إلى كلام قد يسيء إليها ولا يعني ذلك أنه يمنع عنها إحسانه وكرمه، بل إنه يرسل إليها كل ما يمكن أن تحتاج إليه مـــن خير، وحين يعود زوجها يعرف تمامًا ما قدمه حاتم لزوجته من النعم، دون أن يكشـــف ستورها، فقال[١٢٣]:

وَمَا تَشْتَكِيْنِي جَـــارَتِي غَـــيْرَ أَنَّنِـــي إِذَا غَابَ عَنْهَـــا بَعْلُهَـــا لاَ أَزُورُهَـــا

سَـــيَبْلُغُهَا خَـــيْرِي وَيَرْجِـــعُ بَعْلُهَـــا إِلَيْهَا وَلَمْ تُقْصَـــرْ عَلَـــيَّ سُـــتُورُهَا

أما الشاعر تميم بن مقبل فهو حسن الأخلاق، لا يفعل ما يمس كرامة الجارة أو يسيء إلى شرفها، وينزه نفسه عن فعل ما يفعله بعض من لم تتأصل في نفســـه العـــزة والكرامة من أولئك المتسلقين الذين يعملون على الوصول إلى جاراتهم في ظلام الليل،

---

[١٢٢] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٢٣٢؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص٩٧.

[١٢٣] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٢٤٧.

www.mtenback.com

يقاربون الخطى لئلا ينتبه إليهم أحد، ويندسون اندساس اللئام لضعف إرادتهم، ونفوسهم، فهم كالحيوانات لا يميزون بين الخطأ والصواب، فيقول[١٢٤]:

وَلاَ أَطْرُقُ الجَارَاتِ بِاللَّيْلِ قَابِعًا قُبُوعَ القَرَنْبَى أَخْطَأَتْهُ مَحَافِرُهْ

وهذه السمة ليست سمة الشاعر تميم فقط، بل إن كثرة من العرب، الذين حملوا في أنفسهم خلقًا كريمًا أبدوا عدم أنسهم بزيارة الجارة إذا كانت وحيدة، والحي خلوف، فزيارتها في هذه الحالة والتردد عليها يضعها موضع الشك وسوء الظن والأخلاق العربية ترفضه ولا ترضاه، لأن ذلك قد يجر إلى ما يخشاه الكريم صاحب المروءة، الذي يدرك في قرارة نفسه أن ما من رجل يخلو بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. ويوضح هلال بن خثعم أنه لا يزور الجارة في غياب زوجها ليطلع على ما خفي من أمرها. ولذلك فإن كلابها لم تأنس إليه، أي أنه لا يكثر زيارتها حتى تألفه كلابها، وهو تعبير يدل على حرص العربي على كرامة الجارة، ولا يعني ذلك أنه لم يكن يهتم بحماية جارته. فهو يقوم بواجبه تجاهها على أتم وجه، دون أن يطلع على أسرارها وخصوصياتها، فيقول[١٢٥]:

وَإِنِّي لَعَفٌّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوءٌ إِلَيَّ اغْتِيابُهَا

إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعْلُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَؤُورًا وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلاَبُهَا

وَلَمْ أَكُ طَلاَّبًا أَحَادِيثَ سِرِّهَا وَلا عَالِمًا مِنْ أَيِّ جِنْسٍ ثِيابُهَا

---

[١٢٤] ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص٩٨-٩٩، نقلاً عن ديوان ابن مقبل، ص١٥٤.

[١٢٥] الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، ج١، ص٣٧٩؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب ص٩٩ وهامش ٢ للصفحة نفسها. وقد اختلف في نسبة هذه الأبيات، فالجاحظ في كتاب البخلاء ص١٧٣ ينسبها إلى هلال بن خثعم، على حين أن كلاً من القرطبي في بهجة المجالس، ج١، ص٢٩١، وابن قتيبة في عيون الأخبار، ج٣، ص١٨٣ يجعلان الشعر لبشار بن برد المجاشعي.

www.mtenback.com

ومما لا شك فيه أن الجارة تشعر بالاطمئنان إذا كانت تثق بحسن أخلاق جارها ومروءته. وقد اتخذ العرب حماية الجار لجارته، مادة للرثاء والفخر، فإذا أراد الرجل أن يفخر بأعماله يذكر على رأسها حماية الجارة، وإن أراد رثاء قريب أو صديق وجد مادة خصبة في حمايته لجاراته[١٢٦]، ذلك لأن توفير الأمن والأمان للجارة إلى جانب الحصانة أمر تفرضه على العربي الأعراف الجاهلية، كما تفرضه أخلاقه التي نشأ عليها.

وقد تميز العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم بهذه الأخلاق. فلم يخطر ببال الجار مجرد خاطر أن يسيء إلى هذه العلاقة إلاّ من ساء خلقه، وهؤلاء قلة بين مجموع كبير.

وقد أدت هذه الأخلاق إلى أن تشعر الجارة بأنها في أمان قرب جيرانها، لا تظن الغدر، منهم بسبب تمثلهم للأخلاق العربية، والأعراف المتوارثة، فهذا مسكين الدارمي يرى أن أخلاقه تمنعه، إذا ما نابته نائبة أو تعرض لسنة جدب وقلة، أن يجعل جاره هدفه، يأكل ماله وطعامه، ويعتدي على عرضه، كأنه مادة تؤكل كالتمر وغيره يأكله الإنسان متى شاء. وهذا لن يكون إلا عند ضعاف النفوس الذين يتخذون من الميل الغريزي إلى المرأة، وخاصة تلك التي تضعف أمام الإغراء بسبب غربتها وحاجتها وضعفها. وبما أن الجارة قريبة الدار، وقربها يجعلها أمام عينيه دائمًا، فهذا أكبر امتحان لسلوك الجار وخلقه، ومروءته، وترفعه عن الدنايا، فيقول مسكين الدارمي واصفًا عفة نفسه حتى يواري ذكره القبر، وأنه ليس كغيره من ضعاف النفوس[١٢٧]:

لاَ يَرْهَبُ الجِيْرَانُ غَدْرَتَنَا ... حَتَّى يُوَارِي ذِكْرَنَا القَبْرُ

لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَحَتْ ... إِحْدَى السِّنِيْنِ فَجَارُهُم تَمْرُ

---

[١٢٦] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص١١٤.

[١٢٧] الدارمي، مسكين: ديوان مسكين الدارمي، جمعه وحققه عبد الله الجبوري وخليل إبراهيم العطية، دار البصري، بغداد، (١٩٧٠م)، ص٤٤-٤٥؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠٤.

www.mtenback.com

مَوْلاَهُمُ لَحْمٌ علـــى وَضَـــمٍ تَنْتَابُـــهُ العِقْبَـــانُ والنَّسْـــرُ

ويصف زهير بن أبي سلمى موقفه من الجارة، وتنزهه عن إيذائها في شرفها، إذ لا يطيل النظر إليها خلسة، وسرًا، ولا علانية، لأنه لا يريد إيذاء شعور جاره، ولأنـــه عفيف صاحب خلق. وغيرةٌ على جاره أن يكون آمنًا على أهله، ولا يخشـــى منـــه، فيقول(١٢٨):

وجَارِي لَيْـــسَ يَخْشَـــى أَنْ أُرَنِّـــي حَلِيْلَتَـــهُ بِسِـــرٍّ أَوْ عَـــلاَنِ

وكذلك طفيل الغنوي لم يكن يقل عن عنترة، وحاتم وزهير ومسكين، في تمثل الأخلاق الكريمة مع جاراته، فهو يحفظهن، ويحميهن، ولا يستغل عدم وجود جـــاره ليحل محله في بيته، لأن أخلاقه تمنعه من ذلك، وكذلك يفعل مع زوجة ابن عمـــه في غيابه، وقد صور لنا أخلاقه هذه قائلاً(١٢٩):

وَلاَ أَقُـــولُ لِجَـــارِ البَيْـــتِ يَتْبَعُنِـــي نَفسي مَحلَّـــكَ إنَّ الجَـــوَّ مَحْلُـــولُ
وَلا أُخَـــالِفُ جَـــارِي في حَلِيْلَتِـــهِ وَلا ابْنَ عَمِّـــي غَـــالَتْنِي إِذَنْ غُـــولُ
وَلا أُحَـــدِّدُ أَظْفَـــارِي أُقَاتِلُـــهُ إِنَّ اللِّطَامَ وقَوْلَ السُّـــوءِ مَحْمُـــولُ

وطفيل يؤكد المعنى الذي تواترت عليه أشعار الشعراء عن حرمة الجارة، وقريبة الدار، ويشرك زوجة ابن العم مع الجارة، مشيرًا إلى التعفف عن حرماتهما، وأن عليـــه حقهما في القرب والبعد. وسيبقى على مبدئه هذا، حتى لو أتيحت له الفرصة للنـــوال من جارته، وتهيأت له أسباب الوصال منها، لأن أخلاقه وإباءه، ومروءته، وما حمله في

---

(١٢٨) زهير بن أبي سلمى: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، قدم لـــه ووضـــع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي، (دار الكتاب العربي (د.ت) ص٢٥٩؛ ابن تنباك، الجـــوار عنـــد العرب، ص١٠٠. وأرَنّي: أديم النظر إليها.

(١٢٩) ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٠ نقلاً عن ديوان طفيل الغنوي، ص٨٥.

www.mtenback.com

نفسه من ترفع عن الحرمات التي آمن بها، أقوى من هذا الإغراء، ولذلك فإنه يأبى استغلال تساهل الجارة معه في غياب زوجها[١٣٠].

وعلى الجار حماية جارته والذب عن شرفها، على الرغم من الميل إليها، قال قيس بن الخطيم يتحدث عن عمرة بنت رواحة التي رآها ثلاث مرات في منى، فأحبها، ولكنه تنزه من أن يسيء إليها، وهذا خلق محمود من أخلاق العرب في الجاهلية، فوصف ميله إليها واحترامه لجيرتها، وأنه لا يطمع بحليلة الصديق والقريب ولا الجارة، فقال[١٣١]:

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَاطِّرَادِ المَذاهِبِ ... لِعَمْرَةَ قَفْرًا غَيْرَ مَوْقِفِ رَاكِبِ

دِيَارُ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِنًى ... تُحُلُّ بِنَا لَوْلا نَجَاءُ الرَّكَائِبِ

تَرَاءَتْ لَنا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمَامَةٍ ... بَدَا حَاجِبٌ مِنْها وَضَنَّتْ بِحَاجِبِ

وَلَمْ أَرَهَا إِلاَّ ثَلاثًا عَلَى مِنًى ... وَعَهْدِي بِهَا عَذْرَاءُ ذاتُ ذَوَائِبِ

وَمِثْلُكِ قَدْ أَصْبَيْتُ لَيْسَتْ بِكَنَّةٍ ... وَلاَ جَارَةٍ وَلا حَلِيلَةِ صَاحِبِ

كما قال النابغة الحارثي في حماية الجارة وحصانتها[١٣٢]:

وَتَبِيتُ جَارَتُنَا حَصَانًا عَفَّةً ... تُثْنِي وَيَأْخُذُ حَقَّهُ مَوْلاَنَا

وَنُحِقُّ حَقَّ شَرِيبِنَا فِي مَائِنَا ... حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ أَسْقَانَا

---

[١٣٠] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٠ نقلاً عن ديوان طفيل الغنوي، ص٨٥.

[١٣١] ابن سلام، القاسم: طبقات الشعراء، القاهرة، مطبعة السعادة (د.ت) ص٨٩؛ الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ص٢٢٨ وهامش ٢و٣ لنفس الصفحة، وعمرة بنت رواحة هي أخت عبد الله بن رواحة، وأم النعمان بن بشير الأنصاري.

[١٣٢] الخواجا، زهدي صبري: الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، دار الناصر، الرياض، ط١، (١٤٠٤هـ)، ص٣٠٧.

www.mtenback.com

وقال حجر بن حيّة العبسي يصف معاملته لجارته بما يليق به من حمايتها وحماية شرفها، فلا يسارها الحديث، ولا يخبرها همسًا دفعًا للريبة، فهو حسن الجوار، عفيف المعشر، يصون العرض، وهو لا يخلو بها، لأن الخلوة بالمرأة تؤدي إلى الفساد، فقال[١٣٣]:

لا أَحْرِمُ الجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ ... وَلا أَقُومُ بِهَا فِي الحَيِّ أُخْزِيْهَا

وَلاَ أُكَلِّمُهَا إِلاَّ عَلاَنِيَةً ... وَلا أُخَبِّرُهَا إِلاَّ أُنَادِيْهَا

ويوضح الأحوص الأنصاري[١٣٤] حصانة جاراته ونساء أصحابه، فهو لا يفكر في تدنيس شرفهن، ويذكر الأسباب التي تمنعه من ذلك. فهو لا يستطيع أن يفجع صاحبه وصديق عمره بالنيل من شرفه، وتدنيس عرضه ولو فعل، فإن فعلته ستحوله من صديق إلى خائن لشرف الصداقة والصحبة، كما أن أخلاقه لا تسمح له بالاعتداء على جارته، وإن فعل فيكون قد نال من جارة جنبه، والله سبحانه وتعالى أوصاه بالجار، وكلفه برعايته ورعاية أهله وحمايتهم. وإضافة إلى أوامر الله التي عليه أن يطيعها، فإنه إن فعل خالف الأخلاق التي تحلى بها، العربي الشهم ولنستمع إليه يقول[١٣٥]:

ثِنْتَانِ لا أَدْنُو لِوَصْلِهِمَا ... عِرْسُ الخَلِيْلِ وجَارَةُ الجَنْبِ

أَمَّا الخَلِيْلُ فَلَسْتُ فَاجِعَهُ ... وَالجَارُ وَصَّانِي بِهِ رَبِّي

---

[١٣٣] أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي،: ديوان الحماسة، طبعة مصر، (١٣٣٥هـ) ج٢، ص٣٠٧؛ الخواجا: الجانب الخلقي، ص٣٠٧.

[١٣٤] هوالأحوص بن محمد بن عبد الله الأنصاري، من شعراء العصر الأموي، سجنه الخليفة عمر بن عبد العزيز لفحشه بالشعر. انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٣٨٠-٣٨٢.

[١٣٥] الأحوص الأنصاري، عبد الله بن محمد: شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق عادل سليمان جمال، الهيئة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، (١٩٧٠م) ص٨٣؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠١.

www.mtenback.com

ويقول مالك بن حريم عن عفته عن التطلع إلى جارته، أو إيذائها في عرضها، ويجعل ذلك إحدى صفات أربع تحلى بهنّ[١٣٦]:

فَإِنْ يَكُ شَابَ الرَّأْسُ مِنِّي فَإِنَّنِي ... أَبَيْتُ عَلى نَفْسِي مَنَاقِبَ أَرْبَعَا

فَوَاحِدَةٌ أَنْ لاَ أَبِيْتُ بِغِرَّةٍ ... إِذَا مَا سَوَامُ الحَيِّ حَوْلِي تَضَوَّعَا

وَثَانِيَةٌ أَلاَّ تَفَزَّعُ جَارَتِي ... إِذَا كَانَ جَارُ القَوْمِ فِيْهِمْ مُفَزَّعَا

ويماثل كثير عزة الأحوص في الاهتمام بحصانة الجارة، واقتناعه بعدم التعرض لها ولنساء الأخلاء، مهما كان الأمر سهلاً ميسرًا، لأن أخلاقه من جهة، وقناعته بذلك من جهة أخرى لا يغيرهما شيء. وقد يكون الوازع الديني عاملاً آخر. فيقول[١٣٧]:

نِسَاءُ الأَخِلاَّءِ المُصَافِينَ مَحْرَمٌ ... عَلَيَّ وَجَارَاتُ البُيُوتِ كَنَائِنُ

ويبدو أن كلاً من الأحوص الأنصاري وكثير عزة يؤكدان على مروءتهما مع الجارة، وعلى تمتعهما بالأخلاق الحميدة، ويرون وجوب وضع حد للعلاقة بين الرجل وجارته خاصة، إذ إن المجتمع العربي مجتمع مفتوح، يُمكِّن الجار والصديق من رؤية جارته في أحوال كثيرة في دخولهما وخروجهما، وأثناء عملها بحكم القرب المكاني. وهما لن يستغلا هذا الاختلاط لتدنيس الأعراض. هذا إضافة إلى أن للجار في الإسلام حقًا، والوصاية به من الله تعالى ومن رسوله تؤكد حقه وهي وصية لا يمكن مخالفتها[١٣٨].

وحصانة الجارة مفروضة على الجميع، لا على بعضهم فقط، والأعشى يتحدى أعداءه بأسلوب استنكاري تهكمي، ويتحدث عن اهتمامهم بحصانة جارتهم من دون

---

[١٣٦] ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص٣٨؛ حفني: شعر الصعاليك، ص٣٤٠، والقذع: الفحش والشتيمة.

[١٣٧] كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي: ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (١٩٧١م) ص٣٨٠؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٠.

[١٣٨] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠١.

www.mtenback.com

حصانة جارة الآخرين، ويتساءل مستنكرًا لماذا تكون جارة الآخرين حصانًا محرمة، وجارته حلال لهم وهل هذا من الأخلاق؟ فمن يعرف الحلال والحرام، ويملك المروءة، يطبق الخلق الكريم على نفسه، قبل أن يفرض تطبيقه على الآخرين، فقال[١٣٩]:

أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا

كما قال يهجو مالك بن مسمع الذي تقاعس عن مساعدة بني شيبان ضد بني تغلب بعد أن وعدهم بذلك، فقال[١٤٠]:

أَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ أَنْ تَنَاوَلُوا مَحَارِمَهَا أَوْ أَنْ تَمِيزُوا حَلاَلَهَا

ويرى الأعشى أنه يتوجب على الجار حصانة جارته، وأن لا يحاول السوء معها، فإن الله يطلع على كل خافية، ويطالب بشد أزر المستجير به، والدفاع من دونه، ولو قامت نتيجة لذلك حرب حامية تسفع الوجوه، فقال[١٤١]:

وَجَارَةِ جَنْبِ البَيْتِ لا تَبْغِ سِرَّهَا فَإِنَّكَ لاَ تَخْفَى عَلَى اللهِ خَافِيَا

وَكُنْ مِنْ وَرَاءِ الجَارِ حِصْنًا مُمَنَّعًا وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ الوَجْهَ حَامِيَا

وقال يذكر الصفات التي يجب أن يتحلى بها صاحب المروءة[١٤٢]:

إلى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارا

وَمَنْ لا تُفَزَّعُ جَاراتُهُ وَمَنْ لا يُرَى حِلمُهُ مُسْتَعارا

وهذا رأي الأعشى في الجارة وحصانتها وحمايتها من أن ينالها سوء، ويساء إلى سمعتها وشرفها رغم ما تسوقه عنه الأخبار من تغزل في النساء وأحاديث كثيرة عن

---

[١٣٩] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٢٢٥؛ وبسل: حرام؛ ابن تنباك: الجوار، ص١١١.

[١٤٠] الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص٩٤.

[١٤١] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٣٨١.

[١٤٢] المصدر السابق، ص١٠١.

www.mtenback.com

قصص غرامه وحبه لملذات الدنيا إلا أن طبيعة الغيرة العربية التي ركزت في نفسه أملت عليه أن يسلك مسلك العرب بالدفاع عن ثوابت القيم والإيمان بأهمية المحافظة على الأعراف والتقاليد العربية، ولهذا جاء شعره متفقًا مع ما هو سائد في المجتمع الذي يحفظ كرامة الجارة ويصون شرفها ويحرص على إنزالها المكانة التي تليق بها فكان يرى أن حصانة الجارة وحمايتها والابتعاد عن ارتكاب المحرمات معها من أحسن الأخلاق التي يجب التمسك بها، لا بل تحريمها، ويأمر من يقرأ شعره بالابتعاد عن إيذاء الجارة، بل يدعو إلى توفير الأمن لها وألا تفرغ أو تذل.

ويفخر طرفة بن العبد بنفسه وقومه، فيجعل مناط فخره إكرام الجار والجارة وحمايتهما، فيقول[١٤٣]:

لَنَا هَضْبَةٌ لاَ يَدْخُلُ الذُّلُّ وَسْطَهَا ... وَيَأْوِي إِلَيْهَا الْمُسْتَجِيرُ فَيُعْصَمَا

تَرَى جَارَنَا فِينَا بِخَيْرٍ وَعِرْسُهُ ... وَجَارَتُنَا بَسْلاً عَلَى النَّاسِ مَحْرَمَا

فطرفة في هذه الأبيات يدمج الكرم بالحماية، فجارته محمية مصونة، وجاره يشعر بالأمان والاطمئنان بهذه الجيرة، ذلك لأن طرفة يجعل جاره وجارته في حمايته يأويان إلى هضبة حصينة، فيشعران فيها بالأمان والإكرام ويبتعدان عن الذل[١٤٤].

والعربي في الجاهلية وإن صبا ومال إلى اللهو، فهو لا يفكر مطلقًا بالإساءة إلى جيرانه أو محارمه الأدنين، قال قيس بن الخطيم موضحًا ذلك[١٤٥]:

---

[١٤٣] طرفة بن العبد: ديوان طرفة، ص١٢٠؛ ابن تنباك: الجوار، ص١١١. والعرس: هي امرأة الرجل. وقدعرس الرجل: اتخذ عرسًا، ودخل بها. والبسل: من الأضداد وهو الحرام والحلال.

[١٤٤] المصدر السابق نفسه.

[١٤٥] قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، عن ابن السكيت، تحقيق ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط٢، (١٩٦٧م) ص١٦٥؛ ابن تنباك: الجوار، ص٩٩. والمقرف: الذي أمه عربية، وأبوه ليس كذلك. وقيل العكس. والمقرف أيضًا: النذل اللسان.

www.mtenback.com

وَهَل يَحْذَرُ الجَارُ الغَرِيْبُ فَجِيْعَتِي ... وَخَوْنِي وَبَعْضُ المُقْرِفِيْنَ خَؤُونُ
وَمَا لَمَعَتْ عَيْنِي لِغِرَّةِ جَارَةٍ ... وَلاَ وُدِّعَتْ بِالدَّمِ حِينَ تَبِيْنُ

والجارة في أخلاق شبيب بن البرصاء محفوظة مصونة ممن حولها، فحصانتها ممن حولها تجعلها وكأنها في قمة الجبل المرتفع الأشم، لا يستطيع أن ينالها أحد بأذى ويفخر بحسن أخلاقه، ومروءته في حماية جاراته فيقول[١٤٦]:

يَدُلُّ عَلَيْنَا الجَارَ آخِرُ قَبْلَهُ ... وَأَحْلاَمُنَا مَعْرُوفَةٌ وَسَدَادُهَا
وَجَاراتُنَا مَا دُمْنَ فِيْنَا بِعِزَّةٍ ... كَأَرْوى ثَبِيرٍ لا يَحِلُّ اصْطِيَادُهَا

وعلى الجار أن يحفظ جاره في السفر، ويحفظ أهله ومنزله، وإن لم يوصه بذلك، ولا يخونه في أهل بيته في حضره وسفره، ولا ينظر إلى دار جاره بغير إذنه ليرى من فيها[١٤٧]. وهذا الخلق أصبح في الإسلام ديدن الجميع، حتى أن قينة كانت تغني بمثل هذه المعاني فسمعها مالك بن أنس فقيه المدينة أثناء مروره وهي تغني، فأعجب بمعنى الأبيات، وقال لمن حضره: «علموا أهليكم هذا ونحوه». وكانت القينة تقول[١٤٨]:

أَنْتِ أُخْتِي وَأَنْتِ حُرْمَةُ جَارِي ... وَحَقِيقٌ عَلَيَّ حِفْظُ الجِوَارِ
إِنَّ لِلجَارِ إِنْ تَغَيَّبَ غَيْبًا ... حَافِظًا لِلمَغِيبِ وَالأَسْرَارِ
مَا أُبَالِي أَكَانَ لِلبَابَ سِتْرٌ ... مُسْبَلٌ أَمْ بَقِي بِغَيْرِ سِتَارِ

ولثقة الرجل بجيرانه كان إذا سافر، يسافر مطمئنًا على أهله. فقد سافر معن بن أوس إلى الشام وخلف وراءه ابنته ليلى في جوار عمرو بن أبي سلمة، ابن أم سلمة (أم

---

(١٤٦) الجمحي: طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٧٢٧؛ ابن تنباك، الجوار، ص١٠٢.

(١٤٧) زادة: شرعة الإسلام، ص٤٣٠-٤٣١.

(١٤٨) ابن تنباك: الجوار، ص٩٥، نقلاً عن بهجة المجالس، ج١، ص٢٩٠.

www.mtenback.com

المؤمنين)، وفي جوار عاصم بن عمر بن الخطاب، فقال: بعض عشيرته: على من خلفت ابنتك ليلى بالحجاز، وهي صبية ليس لها من يكفلها، فقال[١٤٩]:

لَعَمْرُكَ مَا لَيْلَى بِدَارِ مَضيَعَةٍ ... وَما شَيْخُهَا إِنْ غَابَ عَنْهَا بِخَائِفِ

وَإِنَّ لَهَا جَارَيْنِ لا يَغْدُرانِهَا ... رَبِيْبُ النَّبِيِّ وابْنُ خَيْرِ الخَلائِفِ

فالجار في الإسلام يحرص على عدم النظر إلى دار جاره، ولا يصعد على سطح داره إلا لحاجة ماسة، وإذا صدف وأشرف على منزل جاره، يعد ذلك سوءة فعلها. فقد صعد الأحنف بن قيس فوق سطح بيته، فأشرف على جاره، فقال: «سوءة سوءة، دخلت على جاري بغير إذن، لا صعدت فوق هذا البيت أبداً»[١٥٠].

ويحرص الجار دائماً على عدم التحدث إلى جارته إذا كان زوجها غائباً، لئلا يسيء إلى سمعة جارته، وقد أنشد الأصمعي يذكر أخلاقه مع جارته، واهتمامه بحصانتها، وكيف يتعامل معها في غياب زوجها، قائلاً[١٥١]:

أَرَى دَارَ جَارِي إِنْ تَغَيَّبَ حِقْبَةً ... عَلَيَّ حَرَامًا بَعْدَهُ إِنْ دَخَلْتُهَا

قَلِيْلٌ سُؤَالِي جَارَتِيْ عَنْ شُؤُونِهَا ... إِذَا غَابَ رَبُّ البَيْتِ عَنْهَا هَجَرْتُهَا

أَلَيْسَ قَبِيْحًا أَنْ يُخَبَّرَ أَنَّنِي ... إِذَا كَانَ عَنْهَا شَاحِطَ الدَّارِ زُرْتُهَا

ومما لاشك فيه أن الجار لا يؤذي جاراته إذا كانت أخلاقه حسنة، وبالتالي فإنه سيعامل بالمثل، فجيرانه لن يمسوا حرمة بيته، ولن يعتدوا على نسائه. أما من ساء خلقه وارتكب المعاصي، فإنه يسيء إلى نفسه وجاراته. ويغلب أن يكون هؤلاء من الفسقة،

---

[١٤٩] الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص١٥٨.

[١٥٠] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد: مكارم الأخلاق، تحقيق وشرح وتقديم: جيمز أ. بلمي، فيسبادن، نشر فرانز شتاينر، (١٩٧٣م)، ص٨٦-٨٧.

[١٥١] السامري: مكارم الأخلاق، ص٤٧.

www.mtenback.com

وخاصة الذين يشربون المسكرات التي تجعلهم لا يعون ما يفعلون، فهم لا يتمكنون من منع الأذى عن أنفسهم وحريمهم، فكيف يمنعونه عن جاراتهم. فهذا النوع من الرجال سلط شهواته على كل شيء، على ماله، وأهله، وجيرانه، وحكم الهوى في كل تصرفاته. قال الشاعر يذكر أن المتعارف عليه أن يحمي الناس جميعًا حريمهم إلا صاحب النبيذ[١٥٢]:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَمْنَعُوْنَ حَرِيْمَهُمْ ... وَلَيْسَ لأَصْحَابِ النَّبِيْذِ حَرِيمُ

أَخُوهُمْ إِذَا مَا دَارَتِ الكَأْسُ بَيْنَهُمْ ... وَكُلُّهُمُ رَثُّ الوِصَالِ سَؤُومُ

فَهَذَا بَيَانِيْ لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ ... وَلَكِنَّنِي بِالفَاسِقِينَ عَلِيْمُ

وقال الجاحظ: «فقد كان هذا المعنى في أصحاب النبيذ أوحد، فأما اليوم فقد استوى الناس. قال الأضبط بن قريع لما انتقل في القبائل، فأساؤوا جواره، بعد أن تأذى ببني سعد: «بكل واد بنو سعد»[١٥٣].

فإذا كان هذا هو قول الجاحظ عن عصره، وعمن يتناول النبيذ، فما بالنا بمن يتناول ما هو أشد وأخطر وأسوأ من النبيذ في عصرنا، بمن يتناول المخدرات وأمثالها!! فهؤلاء يفقدون عقولهم، ولايتحكمون بأنفسهم، ولا بأعصابهم، ولا بأهوائهم. فهم لا يحمون نفسًا، ولا أهلاً، ولا ولدًا، فكيف يتمكنون من حماية الجارات، والحفاظ على حصانتهن، وقد فقدوا مقومات الرجولة.

لقد ظلّ الجار حتى فترة قريبة لا تتجاوز ربع القرن يمنع جاراته، فإذا وجد إحداهن في مأزق، أو وجدهن بحاجة إلى معونة قدمها لهن، ولو عرض نفسه للخطر، وما زال بقية حتى أيامنا هذه يراعون حرمة الجارة.

---

[١٥٢] الجاحظ، أبو عمر بن بحر: البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص١٨٩.

الحريم تعني كل ما يحافظ عليه المرء ويصونه.

[١٥٣] الجاحظ: البخلاء، ص١٨٩.

www.mtenback.com

وعلى العموم فإن من لا يحمي الجارات، ويعرف بانحرافه وإجرامه، لا يمكنه الحصول على عهد الجوار من القبائل العربية، وإذا حدث وأعطاه أحد عهدًا، ثم اكتشف سوء خلقه، يصبح في حل من عهده. ومثل هذا الشخص يعرف عندهم بـ «مرفوع الجناية»[١٥٤]. ومثله ما كان يعرف في الجاهلية بالخليع.

وعلى الرغم من وجود بقية من العرب ما زالوا يهتمون بحماية الجارة حتى عصرنا، فإن هذا الخلق الكريم ضعف عما كان عليه، لانصراف كل جار إلى شؤونه الخاصة. ولذلك فإن القوانين الوضعية أخذت دورها في المعاملات، ومنعت الجيران من إيذاء بعضهم بعضًا، وحرمت أن يطلع أي جار على خصوصيات جاره. فقد منعته من أن يحدث نافذة دون القامة، أو يبني بناء يجعل له نافذة تطل على مقر جاراته، وإن فعل، فعليه أن يهدمها[١٥٥]، لأن هذا يعد من التصرفات المضرة بالجيران، فبناء مثل هذه النافذة يمكنه أن من استخدمها لكشف ستر الجارة[١٥٦].

حفظ سر الجارة وسترها:

اهتم العرب في الجاهلية بستر الجارة، وحفظ سرها، لأن ذلك يكسب فاعله فخرًا ومدحًا في حياته وبعد مماته، وتعتز به أسرته وأفراد قبيلته، ويدع لهم مادة خصبة لرثائه، وفوق ذلك فهو يظهر بين أفراد مجتمعه بأنه يتحلى بالأخلاق الحميدة والمروءة الكاملة، ويتمسك بالأعراف العربية القبلية المحمودة.

---

[١٥٤] زناتي: نظام الجوار، ص٥٠.

[١٥٥] أبو زهرة، محمد: التعسف في استعمال الحق، أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، (١٩٦٣م) ص٨٠؛ شحات، أحمد حسن: الفكر التربوي العربي الإسلامي (الأصول والمبادئ)، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس، (١٩٨٧م) ص٩٣٩.

[١٥٦] شحات: الفكر التربوي، ص٩٣٩.

www.mtenback.com

وإذا كان الأمر هكذا في الجاهلية فإن الإسلام أوصى بالجار، وخص الجارة بخصوصيات، وجعل ذلك جزءًا من الإيمان يثاب عليه صاحبه أو يعاقب، ولم يعد عرفًا اجتماعيًا، أو خلقًا فرديًا.

ومن أجل ذلك فإن العرب في الجاهلية والإسلام عمدوا إلى عدم تتبع أخبار جاراتهم الخاصة، مع محاولتهم الإحسان إليهن، فهم يغمضون أعينهم، ويغلقون سمعهم عما حولهم، فلا يتابعون أخبار الجارات للتعرف على أسرارهن، وإذا فعل أحدهم شيئًا من هذا، فإنه ينسب إلى الرذيلة، ويوصف بأوخم الصفات، لأن تتبع أخبار الجارات وتعقبهن والنيل منهن، من صفات أشرار الصعاليك، قال حاتم الطائي يصف أخلاق علية القوم مع الجارات، ويقارنها بأخلاق شرارهم[١٥٧]:

إِذَا أَوْطَنَ القَوْمُ البُيُوتَ وَجَدْتَهُم ... عُمَاةً عَنِ الأَخْبَارِ فُرْقَ المَكَاسِبِ

وَشَرُّ الصَّعَالِيكِ الَّذي هَمُّ نَفسِهِ ... حَدِيثُ الغَوَانِي، وَاتِّبَاعُ المَآرِبِ

ويعد تسقط أخبار الجارات من الصفات السيئة التي يبتعد عنها الشريف الخلوق وكل عربي يهتم بسمعته وأخلاقه، يبتعد عن ملاحقة أخبار الجارات، ومن هؤلاء حاتم الطائي الذي أقسم ألا يأتي ذلك ما عاش، فقال[١٥٨]:

فَأَقْسَمْتُ لاَ أَمْشِي إِلى سِرِّ جَارَتِي ... يَدَ الدَّهْرِ مَا دَامَ الحَمَامُ يُغَرِّدُ

ولا أَشْتَرِي مَالاً بِغَدْرٍ عَلِمْتُهُ ... أَلاَ كُلُّ مَالٍ خَالَطَ الغَدْرَ أَنْكَدُ

وهذا الخلق عند حاتم، جعله إذا رأى جارته عفوًا دون قصد، تغافل وتعامى، حتى كأنه لم يرها، أو كأنه لا يعرفها، وذلك حفاظًا عليها وعلى شرفها، ولعدم خدش حيائها وليدرأ عن نفسه شبهة التقرب إليها، لئلا يظن البعض بوجود علاقة

---

[١٥٧] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٨٩.

[١٥٨] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٨٩، ٢٦٣؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص٩٨.

www.mtenback.com

ذاتية فردية بينهما. وتصرفه هذا يجعل مكانة جارته رفيعة في أعين من يعرفها، حيث لا يطمع أحد بالعدوان الشائن عليها، فقال[١٥٩]:

وَمَا أَنَا بِالمَاشِي إِلى بَيْتِ جَارَتِي طَرُوْقًا أُحَيِّيهَا كَآخَرَ جَانِبِ

فاهتمام حاتم الطائي بجاراته، مصروف إلى عمل الخير، والحفاظ على الجارات وشرفهن، واحترام حق الجيرة، وعدم ختل أزواجهن. فهو إن وجد الجارات بحاجة إلى رعاية بسبب غياب أزواجهن، أو من يقوم بإعالتهن، فإنه يقوم بتقديم كل ما يحتجن إليه، ويرسله ولا يوصله بنفسه. ولم يقتصر اهتمامه على حماية جاراته وستر أسرارهن، وليس ذلك فحسب بل يحافظ على شرف ابن عمه، ولا يتحرى غيابه للوصول إلى زوجته.

وإن طارق الليل يجب ألا يطرق على جارته إلا بخير، وهذا مبدأ أخلاقي رعاه العرب وحرصوا عليه، وكان أصحاب الأخلاق الحميدة في الجاهلية يطبقونه. فحاتم لا يطرق على جارته في الليل أو بعد مضي جزء منه، إلا إذا كان يريد أن يقدم لها ما تحتاج إليه، أو ينعم عليها[١٦٠].

ويفخر حاتم الطائي بسمو أخلاقه، فهو لا يزور جاراته إذا غاب أزواجهن عنهن، لئلا يصبح موضع شك وريبة، ولئلا يحرجهن. ولا يعني ذلك أنه لا يهتم بأمورهن وحاجاتهن بل سيصلهن خيره مع المحافظة على سمعتهن، وسيعود أزواجهن وهن ينعمن بخير حاتم ورعايته مصونات الجانب محفوظات الشرف والكرامة.

وكان حاتم يعف عن كل عمل مشين، ويكف نفسه عن كل المطامع، ويصونها عن فعل الدنيات، ورفع حاتم صوته عاليًا ليذكر أن من يخون جاره يقوم بجرم شنيع، إذ يستغل ما بينهما من قرب وجوار يُسَهِّل عليه التردد على الجار، ومعرفة أحوال بيته، ثم

---

[١٥٩] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٨٨-٨٩، ٢٠٤؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص٩٧.

[١٦٠] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص٩٨.

www.mtenback.com

يتسلل إليه في الظلام ليصل إلى جارته، فيغدر بجاره الذي اطمأن إليه، وائتمنه، وليس هذا من فعل الكرام.

وعفة حاتم مع جاراته يدفعه إليها خلقه ومروءته، وحفظ حق الجوار والوفاء للجيرة. وقد أقسم حاتم لابنه عدي، وهو يُعَلِّمُهُ مبادئ الأخلاق الحميدة، قائلاً له: «والله ما خاتلت جارة لي قط أريدها عن نفسها»[١٦١].

وأنشد حاتم أمام ماوية بنت عفرز حين ذهب لخطبتها، وكان عندها النابغة الذبياني، ورجل من النبيت جاءا لخطبتها أيضًا[١٦٢]، ذاكرًا ما يتمثله من الأخلاق الفاضلة، وعلى رأسها غض طرفه عن الجارة، ولو كانت دون ستر، وصرف سمعه عن التنصت على أحاديثها، فقال[١٦٣]:

فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِيْ قَرَابَةٍ ... غِنَانَا وَلاَ أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الفَقْرُ

وَمَا ضَرَّ جَارًا يَا ابْنَةَ القَومِ فَاعْلَمِيْ ... يُجَاوِرُنِي أَلاَّ يَكُونَ لَهُ سِتْرُ

بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِيَ غَفْلَةٌ ... وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ حَدِيثِهِمُ وَقْرُ

ويصف الأعرج الطائي، نفسه بغض الطرف عن جارته في كل حين، فإذا برزت من خيمتها أو بيتها وانكشف حجاب الستر بينهما، فإنه يغمض عينيه، فأخلاقه العربية هي الحامي والواقي لها من نظراته، فهو كغيره يتمثل الأعراف القبلية العربية والأخلاق الحميدة مع جاراته، فيقول[١٦٤]:

وَمَا أَنَا إِنْ قَامَتْ تَحَمَّلُ جَارَتِيْ ... بِمَا كَانَ مِنْ عَوْرَاتِهَا بِبَصِيرِ

---

[١٦١] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٩١.

[١٦٢] ابن قتيبة الدينوري: الشعر والشعراء، ص١٥٩.

[١٦٣] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص١٣٣، ٣١٣؛ الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص١٠١.

[١٦٤] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٤-١٠٥.

www.mtenback.com

أما عروة بن الورد، فإن الجارة في كنفه تكون آمنة مطمئنة، سواء أكانت مستورة في بيتها، أم انكشف الحجاب عنها، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل لو اقتلعت الريح خباءها، وحملته بعيدًا عنها، وظهر ما خفي من عوراتها، فلن يفكر في استغلال الفرصة بل سيتشاغل عن النظر إليها، ويتغافل عن التطلع نحوها لئلا ينكشف له ما خفي من عوراتها، وستشغله مساعدتها وإعادة خبائها وسترها عن كل ما يمكن أن يجيش بصدر من ساء خلقه، فقال[١٦٥]:

وَلاَ يُسْتَضامُ الدَّهْرَ جَارِي وَلاَ أُرَى ... كَمَنْ بَاتَ تَسْري لِلصَّدِيقِ عَقَارِبُهْ

وَإِنْ جَارَتِي أَلْوَتْ رِيَاحٌ بِبَيْتِهَا ... تَغَافَلْتُ حَتَّى يَسْتُرَ الْبَيْتَ جانِبُهْ

وقد نال كثيرون المدح لحفظهم لسر الجارة، ومن هؤلاء قوم من كليب بن يربوع من تميم، الذين مدحهم الحطيئة وذكر حمايتهم للجار عمومًا، وحفظهم لسر الجارة فقال[١٦٦]:

لَعَمْرُكَ مَا الْمُجَاوِرُ في كُلَيْبٍ ... بِمُقْصًى فِي الجِوَارِ وَلاَ مُضَاعِ

هُمُ صَنَعُوا لِجَارِهِمُ وَلَيْسَتْ ... يَدُ الخَرْقَاءِ مِثْلَ يَدِ الصَّنَاعِ

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ... وَيَأْكُلُ جَارُهُم أُنُفَ القِصَاعِ

وَجَارُهُمُ إِذَا مَا حَلَّ فِيهِمْ ... عَلَى أَكْنَافِ رَابِيَةٍ يَفَاعِ

وصخر أخو الخنساء هو من الرجال الذين تحلوا بمكارم الأخلاق كما وصفته أخته الخنساء في رثائها، فهو رجل شهم كريم يحمي جاراته، ولا يسير إليهن متخفيًا

---

[١٦٥] عروة بن الورد، ديوانا عروة والسموأل، ص١٩؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠٥.

[١٦٦] الحطيئة، ديوان الحطيئة، ص٦٢، ١١٩؛ ابن رشيق، العمدة، ص١٨٤؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠٢.

www.mtenback.com

ليصل إلى معرفة أسرارهن، وقد كان حسن السيرة مع ابن عمه، فلا يفحش معه في القول، ولا يشتمه. فقالت[١٦٧]:

وَلاَ يَقُومُ إِلَى ابْنِ العَمِّ يَشْتُمُهُ ... وَلاَ يَدِبُّ إِلَى الجَارَاتِ تَخْوِيدا

فصخر يحمي الجارات، ولا يفعل ما يجعله موضع الشك والريبة، خاصة إذا كان أزواجهن بعيدين عن الدار، ولقد رثته الخنساء قائلة[١٦٨]:

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يَمْشِي بِسَاحَتِهَا ... لِرِيْبَةٍ حِينَ يُخْلِي بَيْتَهُ الجَارُ

وكان عقيل بن علّفة المري وفيًا لجاره، يترفع عما يسيء إلى جارته. ويسوق رأيه في ستر الجارة، واصفًا نفسه وطبيعة سلوكه، وترفعه عن الممارسات الخاطئة، معرضًا بمن لا يرقى سلوكه إلى هذا المستوى فيقول[١٦٩]:

وَلَسْتُ بِسَائِلٍ جَارَاتِ بَيْتِي ... أَغَيَّابٌ رِجَالُكِ أَمْ شُهُودُ

وَلاَ مُلقٍ لِذِي الوَدَعَاتِ سَوْطِي ... أَلاَعِبُهُ وَرَيْبَتُهُ أُرِيدُ

وَلَسْتُ بِصَادِرٍ عَنْ بَيْتِ جَارِي ... صُدُورَ العَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرُودُ

ويحرص مسكين الدارمي على ستر الجارة، ولا يتطلع إلى خفايا أمورها ليعرف أسرارها، فقال واصفًا نفسه[١٧٠]:

---

[١٦٧] الخنساء، ديوان الخنساء، ص٤٠؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠١.

[١٦٨] الخنساء، ديوان الخنساء، ص٤٩؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠٢.

[١٦٩] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد: شرح ديوان الحماسة، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج١، ص٤٠١-٤٠٢؛ القالي: الأمالي، ج١، ص٤٥؛ ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص٩٨، نقلاً عن شرح ديوان الحماسة، ج١، ص٤٠٠.

[١٧٠] مسكين الدارمي: ديوان مسكين الدارمي، ص٤٥. وقد ورد البيتان الأول والثاني عند ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٤٠٠؛ السامري: مكارم الأخلاق، ص٤٨؛ وقد نسبت هذه الأبيات خطأ إلى حاتم الطائي، انظر حاتم الطائي، ديوان حاتم الطائي، ص١٣٣.

www.mtenback.com

مَـا ضَـرَّ جَـارًا لِـي أُجَـاوِرُهُ ... أَلاَّ يَكُـونَ لِبَيْتِـهِ سِـتْرُ
أَعْمَـى إِذَا مَـا جَـارَتِي خَرَجَـتْ ... حَتَّـى يُـوَارِي جَـارَتِي الخِـدْرُ
وَيَصِـمُّ عَمَّـا كَـانَ بَيْنَهُمَـا ... سَـمْعِي وَمَـا بِـي غَـيْرُهُ وَقْـرُ

ويرى الأبيرد الرياحي[171]، أن الجارة يجب أن لا تمتد إليها عيون جيرانها، وعليهم المحافظة على سترها وكرامتها، فلا يُخدش حياؤها، ولا تتعرض للمهانة، فقال:

وَإِنْ جَارَةٌ حَلَّتْ إِلَيْـهِ وَفَـى لَهَـا ... فَبَانَتْ وَلَمْ يُهْتَـكْ لِجَارَتِـهِ سِـتْرُ

واتفق مع الأبيرد في عدم هتك ستر الجارة كثير من الشعراء، لأن هتك الستر عنها يمس عفتها وكرامتها، في الوقت الذي يتوجب فيه على الجار الحفاظ عليها، وعدم خدش حيائها، فقال أحدهم مادحًا من كانت هذه صفاته مع جاراته[172]:

لا يهْتِكُ السِّتْرَ عَنْ أُنْثَـى يُطَالِعُهَـا ... وَلاَ يُشَـدُّ إِلَـى جَارَاتِـهِ النَّظَـرُ

ويرى الشاعر جرير أنه يتوجب عدم طرق الباب على الجارة إلا لإكرامها، ويقابل بين طلب الفضل والتطلع إليه من دون عمل إيجابي لنواله، والعمل الجاد حتى إدراكه مهما شق عليه الأمر. ويرى بأن صاحب الفضل والأخلاق يقصر الخطا، ولا يزعج الجارة بزيارته، ولو كانت ملاصقة قريبة، إلا ليقدم لها ما تحتاج إليه من طعام. والمعنى الذي جاء به جرير سبقه إليه حاتم الطائي، ولكن أسلوب جرير اختلف عن أسلوب حاتم. قال جرير[173]:

لاَيـأْمَنَنَّ قَـوِيٌّ نَقْـضَ مِـرَّتِـهِ ... إِنِّي أَرَى الدَّهْرَ ذَا نَقْـضٍ وَإِمْـرَارِ

---

[171] هو الأبيرد بن المنذر بن عبد قيس بن عتاب من تميم شاعر بدوي من شعراء الجاهلية وبني أمية، انظر الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص٩-١٠.

[172] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٣، نقلاً عن كتاب الأمالي، ص١٦.

[173] جرير: ديوان جرير، ج١، ص٢٣٣؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٠.

www.mtenback.com

قَدْ أَطْلُبُ الحَاجَةَ القُصْوَى فَأُدْرِكُهـا ... وَلَسْتُ لِلجارةِ الدُّنْيا بِزَوَّارِ
إِلاَّ بِغُرٍّ مِنَ الشِّيْزى مُكَلَّلَةٍ ... يَجْرِي السَّدِيْفُ عَلَيْهَا المُرْبِعُ الوَارِي

أما أبو جعفر العدوي، فكان لا يكتفي بعدم النظر إلى جارته، ولكنه يحميها ويسترها ويجعل جفونه لها سترًا، ويحفظها سرًا وجهرًا، فيقول[١٧٤]:

وَمَا جَارَتِي إِلاَ كَأُمِّي وَإِنَّنِي ... لأَحْفَظُهَا سِرًّا وَأَحْفَظُهَا جَهْرا
بَعَثْتُ إِلَيْهَا أَنْعِمِي وَتَنَعَّمِي ... فَلَسْتُ مُحِلاً مِنْكَ وَجْهًا وَلا شَعْرا

وعلى العموم، فإن المجتمع العربي بجميع مستوياته، وفي جميع فتراته التاريخية في الجاهلية والإسلام، كان يرى أن ستر الجارة واجب من الواجبات، وكان الخلفاء أنفسهم يعتزون بالشعر الذي يتحدث عن ستر الجارة. يتضح ذلك مما قاله الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده «إذا رويتهم شعرًا، فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولي»[١٧٥]:

يَبِيْتُ الجَارُ حِينَ يَبِينُ عَنِّي ... وَلَمْ تَأْنَسْ إِلَيَّ كِلاَبُ جَارِي
وَتَظْعَنُ جَارَتِي مِنْ جَنْبِ بَيْتِي ... وَلَمْ تُسْتَرْ بِسِتْرٍ مِنْ جِدَارِي

فعبد الملك ذكّر مؤدب أولاده أن يعلمهم من الشعر ما يجعل الأخلاق العربية سمة من سماتهم، واختار من هذه الأخلاق حماية الجارة، وعدم الاطلاع على سرّها، لأن الجارة أقرب الناس إلى الجار، وهو يعلم سرّها وعلانيتها بحكم قرب سكنه من سكنها.

ولا شك أنه إن كان على الجار ستر جارته، فعلى الجارة أن تتصف بالعفة. فقد أنشد الشاعر محمد بن وهيب شعرًا يمدح فيه الحسن بن رجاء، ويذكر فيه ضرورة تعفف الجارة، فقال[١٧٦]:

---

[١٧٤] السامري: مكارم الأخلاق، ص٤٩.
[١٧٥] الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص١٥٢.
[١٧٦] المصدر السابق، ج١٧، ص١٤٢.

www.mtenback.com

أَجَارَتَنَا إِنَّ التَّعَفُّفَ بِالْيَاسِ وَصَبْرًا عَلَى اسْتِدْرَارِ دُنْيَا بِإِبْسَاسِ

إكرام الجارة والإحسان إليها:

لم تنعم الجزيرة العربية بموارد رزق كبيرة، فأكثر أرضها مناطق صحراوية قاحلة، لذلك ندرت فيها موارد الغذاء، وقلت مصادرها. وكثيرًا ما تعرض أهلها للجوع بسبب ذلك، إذ لا يكاد الإنسان يحصل على ما يمسك الرمق، وليس الأمر قاصرًا على فقرائها، بل حتى الأغنياء كانوا يعانون الجوع أحيانًا. وتشتد الحاجة في أيام الشتاء القارسة، وخاصة حين يبطئ الغيث، فيأكلون الأخضر واليابس، وتصبح لقمة العيش أثمن من الذهب.

وقد عانت الجزيرة العربية من هذا الوضع على امتداد فترات التاريخ، واستمر ذلك حتى فترة ليست ببعيدة، فقبل خمسين عامًا من عهدنا، بيع منزلان في المدينة المنورة، كل منها يتألف من ثلاثة أدوار بكيس أرز لكل منهما[١٧٧]. ويبدو أن ذلك كان في الحرب العالمية الثانية.

وتشتد قسوة الحياة على الغريب، والفقير، والعاجز، والمرأة التي ليس لها حام، أو ليس لها من يعيلها، أو على أولئك اللواتي ابتعدن عن أحيائهن وأقربائهن، وجاورن في منطقة ليس لهن فيها إلا جيرانهن.

وفي هذه الظروف فإن الرجل الذي يتمثل الأخلاق الكريمة، والمروءة يشعر بمسؤوليته تجاه أهله وجيرانه جميعًا، وبشكل خاص تجاه الجارة الوحيدة، فالجار الكريم يشعر بالإثم إن جاعت جارته بجواره، وأهله شبعى.

وقد حثت الأعراف العربية الجاهلية الجار على إشباع جارته وإكرامها، ومن لا يفعل يعد خارجًا عن الأعراف القبلية، ويكون ذلك سبة عليه يعيّر بها، وتستغل في

---

[١٧٧] ابن تنباك، الجوار عند العرب، ص١٠٩ وهامش (١) للصفحة نفسها نقلاً عن حسين زيدان في ذكرياته عن العهود الثلاثة.

www.mtenback.com

هجائه. وقد أوضح أكثر من شاعر العيب الذي يلحق بمن يبيت وأهله شبعى، وجاراته جائعات. قال عدي بن زيد[١٧٨] يذكر ذلك[١٧٩]:

وَبَسْلٌ أَنْ أَرَى جَارَاتِ بَيْتِي ... يَجُعْنَ وَأَنْ أَرَى أَهْلِي شِبَاعَا

وقد هجا الشاعر الأعشى علقمة بن علاثة لأنه لم يجره من الموت كما طلب منه، وكان هجاؤه مرًّا، ثلبه فيه مكرمة يعتز ويفتخر العربي بها، إذ جعله ممن يشبع ويملأ بطنه في الشتاء حين يندر الطعام، وجاراته يتضورن جوعًا، فقال[١٨٠]:

تَبِيتُونَ فِي المَشْتَى مِلاَءً بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوْعٍ خِلاَلَ مَخَافَةٍ ... نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

وكان هذا الهجاء مؤلمًا لعلقمة، فقد جعله الأعشى يأكل وأهله أطايب الطعام وأفضله، وجاراتهم يبتن خوامصَ جوعى غرثى.

فانظر إلى هذه المقارنة، علقمة وأهله يأكلون ويشبعون وينامون نوم السعادة، لأنهم أكلوا ما لذ وطاب من الطعام، في الوقت الذي تركوا جاراتهم يعصر الجوع أحشاءهن عصرًا مؤلمًا. مقارنة لا شك في أنها مؤلمة تسلب من الجار صاحب المروءة، مروءته وكرامته. كيف لا، وهو ينام قرير العين، قريبًا من بيته جارة غريبة جائعة يمخض الجوع أمعاءها، ولا تجد عونًا ولا يسمع لها نداء. وكشف الشاعر الأعشى هذا

---

[١٧٨] هو عدي بن زيد بن حماد بن أيوب العبادي من زيد مناة من تميم، نزيل الحيرة، كان ترجمان أبرواز ملك فارس، وكاتبه بالعربية. ساعد النعمان بن المنذر في الوصول إلى ملك الحيرة، ولكن النعمان لم يحفظ له هذا الفضل، بل سجنه حتى مات في سجنه بعد أن سمع عنه شيئًا أخافه منه. انظر: ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٤٦-١٤٧.

[١٧٩] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٩، نقلاً عن ديوان عدي بن زيد، ص١٤٦.

[١٨٠] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٩٩؛ والمشتى بيت الشتاء، أو زمن الشتاء. الغرثان والخميص: الجائع الشامر البطن.

www.mtenback.com

السلوك الذميم، وقبحه للناس. فعلقمة وأهله قد نسوا واجبات الجوار وحقوق رعاية الجارة في أقسى الأوقات وفي أشد ظروف الحياة بؤسًا[١٨١].

ولا يبعد كثيرًا عن هذا المعنى من تصوير الشح والبخل على الجارة التي تعاني الجوع، وحولها جيران ضيعوها ضياع الأيتام في مأدبة اللئام. فخيرهم لا يصل إليها، بل يصلها منهم محاولات دنيئة للاعتداء عليها وعلى شرفها تحت سديف الليل، فلا حرماتها تحترم، ولا حقها يصلها. ولهذه التصرفات أكبر دليل على سوء أخلاقهم، فهم إن جاعوا شر جياع، وإن شبعوا لا يقف نهمهم عند حد، ذلك لأن شبعهم وامتلاء بطونهم يدفعهم إلى ما هو أكثر من ذلك، إلى إشباع رذائلهم، ويتصرفون بما لا يحمد من القول والعمل، قال أحد الشعراء يصف هذه التصرفات[١٨٢]:

هَل غَيْرُ عَدْوِكُمُ عَلَى جَارَاتِكُمْ ... لِبُطونكُم مَلَثَ الظَّلامِ دَوَاعِي

فَإِنْ هُمُ طَعِمُوا فَأَلأَمُ طَاعِمٍ ... وَإِذَا هُمُ جَاعُوا فَشَرُّ جِيَاعِ

فمن لا يعرف حق جارته، وخاصة في اشتداد الأزمات، فإنه يكون خاليًا من الأخلاق التي يفخر بها العربي، ويمدح بها. وهذا حاتم الطائي الذي عودنا على كرمه، يتساءل متعجبًا، كيف يسيغ المرء الطعام الذي يأكله، وجاره فقير، يبدو عليه الإعياء والجوع وأمعاؤه خاوية فارغة. لا شك أنه جار بخيل، لا ضمير له، ولا إنسانية، وموته خير له من الحياة، فهو بخيل مع جاره ومع ضيفه، وليت الأمر يقتصر على هذا، فإنه إذا اضطر إلى ضيافة أحدهم، وضع له الطعام، وجلس يراقب أطراف الطعام ليرى الكم الذي أكله جاره أو ضيفه، وأنشد حاتم الطائي مصورًا هذا الإنسان بقوله[١٨٣]:

---

[١٨١] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٣.

[١٨٢] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٤، نقلاً عن كتاب النوادر، ص٤٣٤.

[١٨٣] حاتم الطائي: ديوان حاتم، ص٣١٢.

www.mtenback.com

وَكَيْفَ يُسِيْغُ المَرْءُ زَادًا وَجَارُهُ ... خَفِيْفُ المِعَى بَادِي الخَصَاصَةِ وَالجَهْدِ
وَلَلمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ ... يُلاَحِظُ أَطْرافَ الأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ

فحاتم الطائي لا يستسيغ طعم الزاد إذا كان جاره وجارته جائعين، كما أنه يخجل أن يأكل ويملأ بطنه هو وأهله في الوقت الذي تنام جاراته طاويات جائعات، بدت عليهن علامات الجوع والفقر، وبرزت عظامهن، وهذا ليس من شيمته ولا من شيم الكرام، فالكريم لا يفعل ذلك. وحاتم بما اتصف به من الكرم، لا يمكن أن يفعل هذا، وكيف يفعله وكرمه وطعامه يصل إلى أبعد الجارات، ومالُهُ مسخر لهن، فقال(١٨٤):

وَإِنِّي لأَقْرِي الضَّيْفَ قَبْلَ سُؤَالِهِ ... وَأَطْعَنُ قِدْمًا وَالأَسِنَّةُ تُرْعِفُ
وَإِنِّيْ لأَخْزَى أَنْ تُرَى بِيَ بِطْنَةٌ ... وَجَارَاتُ بَيْتِي طَاوِيَاتٌ وَنُحَّفُ
وَإِنِّيْ لأُغْشِيْ أَبْعَدَ الحَيِّ جَفْنَتِي ... إِذَا حَرَّكَ الأَطْنَابَ نَكْبَاءُ حَرْجَفُ
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِي وَإِنَّنِي ... كَذَلِكُمُ مِمَّا أُفِيدُ وَأُتْلِفُ

وليست الجارة وحدها هي التي تنال كرم حاتم، بل كذلك أبناؤها. فهي وأبناؤها أحق الناس بكرمه، فهو لن يدع ابن جارته يطوف حول قدره ولا يذوق ما بها. ويصور لنا حاتم النفس الإنسانية والنزعتين اللتين تتعاورانها، نزعة الخير والكرم ونزعة الشر والبخل، فالكريم هو الذي يحيي في نفسه نزعة الخير، ويجعلها طوع إرادته، لأنه إن لم يفعل ذلك غلبته النفس الشريرة، لأن النفس أمارة بالسوء، والإنسان جبل على حب الذات، والاحتفاظ بما يملك، فإن هو لم يغالب نزعة الشر ويقهرها، تغلبت عليه(١٨٥).

(١٨٤) حاتم الطائي: ديوان حاتم، ص٢٢٣؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٠.

(١٨٥) ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٠.

www.mtenback.com

وحين يذكر حاتم الطائي الابن باسم أمه، فيقول (ابن جارتي)، فهذا دليل على أن هذا الطفل قد فقد الأب الذي يعوله، وأن الجارة وابنها وحيدان، وليس لهما من يرعاهما، ويمدهما بما يحتاجان إليه من الطعام. ولذلك فإن انفعال حاتم تجاه هذا الموقف ظاهر، وشعره يظهر فيه هذا الانفعال فهو يقسم، وللقسم دلالته واحترامه عند العرب، بأنه لن يدع ابن الجارة يشعر بالجوع، بل سوف يضمه إليه ويطعمه من طعامه، كما يطعم أمه (جارته) التي يجب أن تحظى ببره وعطفه وخيره، فقال[١٨٦]:

أُشَاوِرُ نَفْسَ الجُودِ حَتَّى تُطِيْعَنِي ... وَأَتْرُكُ نَفْسَ البُخْلِ مَا أَسْتَشِيرُهَا

وَلَيْسَ على نَارِي حِجَابٌ يَكُنُّهَا ... لِمُسْتَوْبِصٍ لَيْلاً وَلَكِنْ أُنِيرُهَا

فَلاَ وأَبِيكَ مَا يَظَلُّ ابْنُ جَارَتِي ... يَطُوفُ حَوَالَي قِدْرِنَا مَا يَطُورُهَا

ويؤكد حاتم أن جارته شريكة له في طعامه وإن قلّ، وأصبح لا يكفي أهله، فمهما قست الظروف، فإن نصيبها من الطعام محفوظ. ويعطينا حاتم درسًا عامًا في الحكمة حين يوضح أن من لم يشرك رفيقه في القليل الذي عنده، فإنه لن ينال الفضل، فيقول[١٨٧]:

سَأَقْدَحُ مِنْ قِدْرِي نَصِيبًا لِجَارَتِي ... وَإِنْ كَانَ مَا فِيهَا كَفَافًا عَلَى أَهْلِي

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُشْرِكْ رَفِيْقَكَ فِي الَّذِي ... يَكُونُ قَلِيْلاً لَمْ تُشَارِكْهُ فِي الفَضْلِ

ويتأكد كرم حاتم مع جاراته، ومع الناس عمومًا من أنه قسم ماله بضع عشرة مرة، ووزعه على جيرانه[١٨٨]، حتى لامته زوجته على فعله، فأجابها شعرًا[١٨٩]:

---

[١٨٦] حاتم الطائي: ديوان حاتم الطائي، ص٢٤٧؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٠.

[١٨٧] حاتم الطائي: ديوان حاتم، ص٣٠٢.

[١٨٨] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٥٩؛ علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، مكتبة النهضة، بغداد، (د.ت) ج٤، ص٥٧٧.

[١٨٩] حاتم الطائي: ديوان حاتم، ص١٨٧، وقوله يستعيدها أي إنها هي شيمتي، ولكل كريم شيمة

www.mtenback.com

وَقَائلــةٍ أَهْلكَــتَ بــالجُودِ مَالَنَــا وَنَفْسَكَ حَتَّى ضَرَّ نَفْسَــكَ جُودُهَــا
فَقُلتُ دَعِينِــي إِنَّمَــا تِلــكَ عَــادَةٌ لِكُــلِّ كَرِيْــمٍ عَــادَةٌ يَسْــتَعِيْدُهَا

وذكر أنه ذبح فرسه ووزع لحمه على جيرانه، لأن إحدى جاراته جاءته جائعة مستغيثة، والقصة كما روتها النوار زوجة حاتم الطائي، هي: أصابتنا سنة اقشعرت لها الأرض، واغبر أفق السماء، وراحت الإبل حدبًا حدابير[190] وضنت المراضع عن أولادها فما تبض بقطرة وأيقنا أنه الهلاك، فوالله إنّي لفي ليلة قاسية تضاغى أولادنا من الجوع، عبد الله، وعديّ، وسَفّانة. فقام حاتم إلى الصبيين، وقمت إلى الصبية، فوالله ما سكنوا إلا بعد هدأة من الليل، ثم ناموا ونمت أنا معه، وأقبل يعللني بالحديث، فعرفت ما يريد، فتناومت. فلما تهورت النجوم، إذا شيء قد رفع كِسرَ البيت، فقال: من هــذا؟ فقالت: جارتك فلانة، أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب من الجــوع، فمــا وجدت معولاً إلا عليك أبا عدي، فقال: والله لأشبعنهم، أعجليهم فقد أشــبعك الله وإياهم، فقامت زوجته فسألته عن ذلك، فقال إنه سيذبح فرسه لإشــباعها وإشــباع أبنائها، والجيرة جميعًا، فلامته على ذلك، فأنشأ يقول[191]:

مَهْلاً نَوَارُ أَقِلِّــي اللَّــوْمَ وَالعَــذْلاَ وَلاَ تَقُوْلِي لِشَيءٍ فَــاتَ: مــا فَعَــلا
وَلاَ تَقُولِي لِمَــالٍ كُنْــتُ مُهْلِكَــهُ مَهْلا، وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الجِنَّ وَالخَبَلا
يَرَى البَخِيْلُ سَــبِيْلَ المَــالِ وَاحِــدَةً إِنَّ الجَوادَ يَــرَى فِــي مالِــهِ سُــبُلا
لاَ تَعْذُلِيْنِي على مَــالٍ وَصَلْــتُ بِــهِ رَحْمًا وَخَيْرُ سَبِيْلِ المالِ مَــا وَصَــلاَ

فأقبلت جارته تحمل ابنين، ويمشي جانبيها أربعة، فقام حاتم إلى فرسه، فوجأ لبته بمديته، ثم كشطه، ودفع المدية إلى المرأة قائلاً لها: شأنك الآن، فاجتمعنا على اللحــم،

---

[190] حدبًا: أي الإبل التي بدا عظم ظهرها، والحدابير: الضامرة.

[191] حاتم الطائي: ديوان حاتم، ص٢٠٠.

www.mtenback.com

ثم جعل حاتم يدعو جيرانه بيتًا بيتًا، ويقول: هبوا أيها القوم، عليكم بالنار، فاجتمعوا. ووقف حاتم جانبًا ينظر إلى الجميع وهم يأكلون، ولم يذق شيئًا مع أنه كان أحوج إليه من الجميع[١٩٢].

فانظر إلى هذا الكرم مع الجارة، فحاتم بات جائعًا وأولاده وزوجته، وقد حاول تعليل زوجته لتنام جائعة، ولم يفكر بذبح فرسه. وحين أعلمته جارته بمعاناتها وأبنائها من الجوع، نهض وذبح فرسه لإشباعها، وإشباع أبنائها، ولم يذق منه لقمة واحدة، وكان ينظر إلى جيرانه يأكلون وهو سعيد مستمتع بهذا المنظر.

وتصف الخنساء كرم أخيها صخر مع الجارة والمحتاج فتقول[١٩٣]:

وَأَكْرَمُ عِنْدَ ضَرِّ النَّاسِ جَهْدًا ... لِجَارٍ أَوْ لِجَارٍ أَوْ لِعِرْسِ

كما أضافت متحدثة عن كرم أخيها مع جارته وغيرها ممن يعرفهم قائلة[١٩٤]:

وَمَا تَرَاهُ وَمَا فِي الْبَيْتِ يَأْكُلُهُ ... لَكِنَّهُ بَارِزٌ بِالصَّحْنِ مِهْمَارُ

ولم يكتف العرب بإشباع الجارة الجائعة، بل يذهبون إلى ما هو أكثر من ذلك، إذ يؤمنون لها كل ما تحتاج إليه من قرى. ويقومون بشأنها في العسر واليسر، لا بل يرفهونها بتقديم الطعام لها وتنويعه إذا لم تجد الجارة إلا نوعًا واحدًا من الطعام. والجار يحرص على ألا تكون جارته مضطرة إلى هذا الطعام وحده ولو كان اللحم، يقول الحطيئة[١٩٥]:

---

[١٩٢] ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص١٥٨-١٥٩؛ جواد علي: المفصل، ج٤، ص٥٧٧.

[١٩٣] الخنساء: ديوان الخنساء، ص٣٢٦. الجادي: الطالب. العرس: امرأة الرجل. وتقصد أن صخرًا إذا ضر الناس وجهدوا كان أكرم ما يكون معهم، فهو يطعمهم ويسقيهم.

[١٩٤] المصدر السابق، ص٣٨٨. ومهمار: مكثار، يكثر لأضيافه من القرى. والصحن: القدح الكبير، والجفنة الضخمة.

[١٩٥] الحطيئة: ديوان الحطيئة، ص٨٩؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٢.

www.mtenback.com

وَمَـــا تَتَّـــامُ جَـــارَةُ آلِ لأْيٍ ... وَلَكِـــنْ يَضْمَنُـــوْنَ لَهَـــا قِرَاهَـــا

كِـــرَامٌ يَفْضُلُـــونَ قُـــرُومَ سَـــعْدٍ ... أُولِـــي أَحْسَـــابِهَا، وَأُولِـــي نُهَاهَـــا

وإذا كان العرب في جاهليتهم أكرموا الجارة بناء على ما توارثوه من الأعراف، فإنه حين جاء الإسلام حضهم على الإحسان إليها، وجعل ذلك من الإيمـــان، فالمســـلم الحق هو الذي يؤثر غيره على نفسه، فيؤثر جارته على نفسه، قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١٩٦]. كما علمنا رسول الله ﷺ أن مـــن يبيـــت شبعان وجاره جائع ينقص إيمانه بقدر قسوة قلبه، فقال ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»[١٩٧]. ويدخل في هذا الجار والجارة، والجارة هـــي الأحـــق بـــالإكرام والإنعام والعطاء.

وعلى الرغم من اتساع حدود الجوار في الإسلام إلى أربعـــين دارًا مـــن كـــل جهة[١٩٨]، فإن أحق الجارات إكرامًا أقربهن بابًا، لما روته عائشة عن ذلك، قائلة: قلت يا رسوله الله، إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟ قـــال ﷺ: «إلى أقربهمـــا منـــك بابًا»[١٩٩].

---

[١٩٦] سورة الحشر: ٩.

[١٩٧] البخاري: الأدب المفرد، باب لا يشبع دون جاره، ص٥٢.

[١٩٨] البخاري: الأدب المفرد، باب الأدنى فالأدنى من الجيران، ص٥١-٥٢؛ درامي، سفيان بن ســـالم: الإسلام ومبادئ الأخلاق، مراجعة عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر، (١٩٨٨م) ص١٤٣.

[١٩٩] البخاري: صحيح البخاري، باب حق الجوار في قرب الأبواب، ج٤، ص٥٤؛ والأدب المفرد، باب يهدي إلى أقربهم بابًا، ص٥١؛ التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: الإمتاع والمؤانسة، ضبط أحمـــد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت) ج٣، ص٦٩؛ والمنصور، خـــالد منصـــور، العلاقات الإنسانية في الإسلام،: مكتبة التوبة، الرياض ط٢، (١٩٩٣م) ص٩٠-٩١.

www.mtenback.com

وقال رسول الله ﷺ مخاطبًا أبا ذر: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[٢٠٠]. وليس من الضروري أن تكون الهدية إلى الجارة ذات قيمة مادية كبيرة، إذ الغاية منها التعاون والتعاضد، وكل يقدم على قدر طاقته. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يا نساء المسلمات لا تحقرن امرأة منكن جارتها ولو كراع شاة محرق»[٢٠١].

كما قال أبو هريرة، قيل يا رسول الله: إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير فيها هي من أهل النار» قالوا: وفلانة تصلي المكتوبة، وتصدق ولا تؤذي أحدًا. فقال رسول الله ﷺ: «هي من أهل الجنة»[٢٠٢].

كما قال رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «الجار الذي لا يأمن جاره بوائقه» قالوا: وما بوائقه؟ قال: شره[٢٠٣].

وكان لتأكيد الدين على حق الجارة أثر في نفوس الناس، وصار مَن يقصّر في أداء الواجب هنا، يعد نفسه آثمًا. وقد حدث أن جاءت جارة الحسن بن علي تشكو الحاجة إليه، قائلة له: «إني جارتك» قال: كم بيني وبينك؟ قالت: «سبع دور، أو قالت عشر» فنظر تحت الفراش، فإذا عنده ستة دراهم، أو سبعة، فأعطاها إياها، وقال: «كدنا نهلك»[٢٠٤]. وذلك لأن الحسن لم يعمل على سد حاجتها قبل سؤالها له.

---

[٢٠٠] البخاري: الأدب المفرد، ص٥٣.

[٢٠١] البخاري: الأدب المفرد، ص٥٦ وجاء بلفظ آخر (يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة».

[٢٠٢] البخاري: الأدب المفرد، ص٥٤-٥٥.

[٢٠٣] البخاري: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ج٤، ص٥٣.

[٢٠٤] ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق، ص٨٦.

www.mtenback.com

وهذا عبد الله بن عامر لم يدع دموع جارته تسيل على خديها، ولم يجد في نفسه المقدرة على سماع صوت بكائها بسبب اضطرارها إلى ترك منزلها بعد أن تم بيعه. فأرسل غلامه إليها طالبًا منها البقاء فيه، وأَخْذ ثمنه لسد حاجتها[٢٠٥].

وقد ذكر أن عبد الله بن طاهر بن الحسين[٢٠٦] كان يتفقد جاراته، فرقى مرة سطح قصره، فرأى دخانًا يتصاعد من دور جيرانه، فسأل عن مصدر الدخان، فقيل له إن الجارات يخبزن الخبز. فدعا حاجبه وقال له: «امض ومعك كاتب، فأحص جيراننا ممن لا يقطعهم عنا شارع» فمضى فأحصاهم، فبلغ عددهم أربعة آلاف نفس، فأمر لكل منهم في اليوم ما يكفيه من الخبز، واللحم، والتوابل، وجعل لكل منهم كسوة في الصيف والشتاء، نساءً، ورجالاً، وأطفالاً[٢٠٧].

كما أوصى الشاعر لبيد بن ربيعة ابن أخيه في وصية موته بأن يكرم الجارات بأفضل ما يملك، وأن يجعل هذا الإكرام خالصًا لوجه الله. وأن يمنحهن ما يفيض عن حاجاتهن. فالإحسان إلى الجارات يجب أن يقرن بالعفة، فقال له[٢٠٨]:

وَافْعَلْ بِمَالِكَ مَا بَدَا ... لَكَ إِنْ مُعَانًا أَوْ مُعِينَا

وَاعْفُفْ عَنِ الجَارَاتِ وَامْنَحْ ... هُنَّ مَيْسَرَكَ السَّمِينَا

وابْذُلْ سَنَامَ القِدْرِ إِنْ ... نَ سَوَادَهَا دُهْمًا وَجُونَا

---

(٢٠٥) ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق، ص٨٦.

(٢٠٦) من أشهر ولاة العصر العباسي. ظهرت كفاءته في ولايته، واستمر فيها إلى أن توفي.

(٢٠٧) الخطيب البغدادي، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي: تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى ٤٦٣هـ، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م) ج٩، ص٤٨٦؛ ابن الجوزي، المنتظم، ج١١، ص١٥٨ــ١٥٩.

(٢٠٨) قيل إنه أوصى ابن أخيه، لأنه لم يكن له ولد. انظر: لبيد بن ربيعة العامري: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص٢١٥.

www.mtenback.com

كما كان أبو جعفر العدوي يحفظ جاراته سرًا وجهرًا، ويبعث إليهن كل ما يحتجن إليه، لا بل أكثر مما يحتجن، ولا يبغي من وراء ذلك منّا ولا شكورًا، بل يكرمهن إكرامًا خالصًا لوجه الله، فيقول[٢٠٩]:

وَمَا جَارَتِي إلاَّ كَأُمِّي وَإِنَّنِي ... لأَحْفَظُهَا سِرًّا وَأَحْفَظُهَا جَهْرا

بَعَثْتُ إِلَيْهَا أَنْعُمِي وتَنَعُمِي ... فَلَسْتُ مُحِلاً مِنْكِ وَجْهًا وَلا شَعْرا

وقد بالغ بعضهم في إكرام الجارة اتباعًا لوصايا رسول الله ﷺ، فجعلها تتصرف بما يملك، وهذا غاية الكرم، فهي لا تنتظر عطاء جارها، بل خولها أن تأخذ كل ما تحتاج إليه، وخاصة حين يزداد العوز، وتتضاعف معاناة الجارة، الفقيرة منهن خاصة، وقد صور لنا هدبة بن الخشرم ذلك في صورة شعرية جميلة، فقال[٢١٠]:

وبادَرَهَا قَصْرَ العَشِيَّةِ قَرْمُهَا ... ذَرى البَيْتِ يَغْشَاهُ مِنَ القَرِّ آزِفُ

يَبِيْتُ عَنِ الجِيْرَانِ مَعْزِبَ جَهْلِهِ ... مُرِيْحَ حَوَاشِي الحِلمِ لِلخَيْرِ وَاصِفُ

وهكذا فإن للجارة عند العرب، سواء في الجاهلية أو الإسلام، مكانة خاصة عند جيرانها، فهي للجار كأمه وأخته، يرى أنه يجب عليه رعايتها، وإطعامها إن جاعت، وتفقد شؤونها، حتى لا يدعها بحاجة إلى رعاية غيره، دون أن يبغي من وراء ذلك منًا ولا شكورًا، ودون أن يكون له غاية سيئة. ولم يكن بعض الجيران يكتفون بتقديم الطعام للجارة بقصد إشباعها، بل تعدوا ذلك إلى إكرامها، ومنحها أفضل ما عندهم، وكانوا يرون تقديمها على أنفسهم وأبنائهم، حين يقل الطعام ويندر، ولا يكاد يحصل عليه إلا قلة من الناس.

---

[٢٠٩] السامري: مكارم الأخلاق، ص٤٩.

[٢١٠] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١٢-١١٣؛ نقلاً عن شعر هدبة بن الخشرم، ص١٢٣.

www.mtenback.com

معاملة الجارة في المدح، والفخر، والهجاء، والرثاء:

إن رعاية حقوق الجارة من أهم صفات المروءة عند العرب، فمن أراد أن يكون ممدَّحًا، أو أن يوصف بالشهامة والمروءة والعفة، فما عليه إلا أن يرعى حقوق جاراته، كذلك فإن من أراد أن يجد لنفسه سمة يفخر بها، ويدع لأبنائه ولقبيلته ما يفتخرون به، فعليه الوفاء بواجبات الجوار عمومًا، وواجبات الجارة وحقوقها خصوصًا. ومما لا شك فيه أن أخلاقه الحسنة وحسن معاملته لجاراته سوف تكون مجالاً خصبًا لرثائه بعد وفاته.

وإذا كانت تأدية حقوق الجارة مجالاً للمدح، والفخر، والرثاء، فإن من لا يؤدي هذه الحقوق يؤخذ ذلك عليه، ويكون سبة له، ومجالاً لهجائه. ويجد أعداؤه مجالاً خصبًا لمهاجمته في أشعارهم، فيكون ذلك بمثابة بركان يتفجر من حوله، قد يحرقه بناره، فيفقد المهجو قيمته ومكانته بين أفراد مجتمعه.

ففي مجال المدح قال الأعشى واصفًا قيس بن معد يكرب بالشهامة، والشجاعة، والقوة بحيث يهابه الجميع، وهو حليم كريم مع جاراته، وعفيف، شريف[٢١١]:

إِلَى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ ... إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارا

وَمَنْ لاَ تُفَزَّعُ جَارَاتُهُ ... وَمَنْ لا يُرَى حِلمُهُ مُسْتَعَارا

وفي مدح سلامة ذا فائش بن يزيد الحميري[٢١٢]، واصفًا إياه بالعفة والوفاء هو وقومه. فإن جاورتهم جارة قاموا مقام أهلها وعشيرتها، فهم لا يطمعون بمالها، ولا يسعون للزواج منها من أجل الوصول إلى هذا المال، فإن حدث زواج يكون بسبب

---

[٢١١] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٠١؛ الخواجا: الجانب الخلقي، ص٣٠٥.

[٢١٢] هو سلامة ذا فائش بن يزيد بن مُرَّة بن عريب بن مرثد بن حريم الحميري. انظر الأعشى: ديوان الأعشى، ص١١٩.

www.mtenback.com

الرغبة بالزواج منها، لا من أجل الحصول على مالها. كما أنهم لا يضيقون برعايتها وإكرامها والإنعام عليها إن كانت فقيرة معدمة، بل يقدمون لها كل ما يمكن تقديمه، فأنشد قائلاً[٢١٣]:

وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً ... يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنضادِهَا

فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّها لِلغِنَى ... وَلَنْ يُسْلِمُوها لإِزْهَادِهَا

وشعر الأعشى هذا يشبه شعر الحطيئة الذي مدح به آل لأي من كليب بن يربوع من تميم، حيث ذكر حمايتهم للجارة، وحفظ سرها، وأنها تعيش بينهم آمنة مطمئنة، محصنة، محمية، فقال[٢١٤]:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ ... وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أُنُفَ القَصَاعِ

وَجَارُهُمُ إِذَا مَا حَلَّ فِيهِمْ ... عَلَى أَكْنَافِ رَابِيَةٍ يِفَاعِ

كما مدح الأعشى هوذه وقومه بأنهم قوم ذوو حسب، أسخياء، خيرهم عم الحاضر والغائب، وهم أوفياء يعفون عن الجارات، فلا يرتاب أحد بجوارهم، وإذا لجأ إليهم لاجئ كان في مأمن ولو عم الكرب والخوف الناس جميعًا، فقال[٢١٥]:

هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غَابُوا وإِنْ شَهِدُوا ... وَلاَ يُرَوْنَ إِلى جَارَاتِهُم خُنُعَا

قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ ... يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ المَحْذُورَةُ القَزَعَا

---

[٢١٣] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٢٥.

[٢١٤] الحطيئة: ديوان الحطيئة، ص٦٢، ١١٩؛ ابن رشيق: العمدة، ج٢، ص٨٤. وأنف القصاع، يريد به جيد الطعام وصفوته.

[٢١٥] الأعشى: ديوان الأعشى، ص١٥٧؛ الخواجا: الجانب الخلقي، ص٣٠٥-٣٠٦؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٢-١٠٣.

www.mtenback.com

وقال عمرو ذو الأصبغ العدواني، يصف حمايته لجارته وكنتها، ويجعلها حكمًا بينه وبين الآخرين للدلالة على حسن أخلاقه وكرمه، فيطلب ممن يريد التأكد من مروءته وحسن أخلاقه أن يسألوا عنه جارته وكنتها، ذلك لأن الجارة أعرف الناس بجارها وأخلاقه، فإذا مدحت فيه أخلاقه، فهي كذلك، فأنشد قائلاً[٢١٦]:

وَإِنَّنِي سَوْفَ أَبْتَدِي بِنَدَى ... يَا صَاحِبَيَّ الغَدَاةَ فَاسْتَمِعَا
ثُمَّ سَلاَ جَارَتِي وَكَنَّتَهَا ... هَل كُنْتُ فِيمَنْ أَرَابَ أَوْ فَدَعَا

وقال الأسود بن يعفر يمدح آل محلم الذين ساعدوه في إنقاذ ما سلب منه وإعادته إليه. وكانت مساعدتهم له لأنه ادعى جوارهم، بعد أن رفض آل عباد الذين كان في جوارهم، حمايته، فقال[٢١٧]:

أَجَارَتَنَا غُضِّي مِنَ السَّيْرِ أَوْ قِفِي ... وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بِالبَيْنِ فَاصْرِفِي
أُسَائِلُكِ أَوْ أُخْبِرْكِ عَنْ ذِي لُبَانَةٍ ... سَقِيمِ الفُؤَادِ بِالحِسَانِ مُكَلَّفِ
تَدَارَكَنِي أَسْبَابُ آلِ مُحَلِّمٍ ... وَقَدْ كُنْتُ أَهْوِي بَيْنَ نِيقَيْنِ نَفْنَفِ
هُمُ القَوْمُ يُمْسِي جَارُهُمْ فِي غَضَارَةٍ ... سَوِيًّا سَلِيمَ اللَّحْمِ لَمْ يَتَحَرَّفِ

وكان قد استنجد قبل ذلك بجيرانه من بني مرة بن عباد، وذكرهم الجوار طالبًا منهم مد يد العون له، فقال[٢١٨]:

يَالَ عُبَادَ دَعْوَةً بعد هَجْمَةٍ ... فَهَل فِيكُمُ مِنْ قُوَّةٍ وَزَمَاعِ
فَتَسْعَوا لِجَارٍ حَلَّ وَسْطَ بُيُوتِكُمْ ... غَرِيبٍ وَجَارَاتٍ تُرِكْنَ جِيَاعِ

---

(٢١٦) الأصفهاني: الأغاني، ج٣، ص٥.

(٢١٧) المصدر السابق، ج١١، ص١٣٠.

(٢١٨) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

ومدح امرؤ القيس بني سعد بن زيد مناة من تميم، ورؤساءهم عوف بن شجنة ابن الحارث، وعوير سيدا بني عوف لأنهم قاموا دون عياله فمنعوهم، وحالوا بين الناس وبينهم، ودافعوا عنهم حتى ألحقوهم بقومهم ومأمنهم، فأثنى عليهم ومدحهم، قائلاً[٢١٩]:

أَلاَ إِنَّ قَوْمًا كُنْتُمُ أَمْسِ دُونَهُمْ ... هُمُ مَنَعُوا جَارَاتِكُمْ آلَ غَدْرَانِ

عُوَيْرٌ وَمَنْ مِثْلُ العُوَيْرِ وَرَهْطِهِ ... وَأَسْعَدُ فِي لَيْلِ البَلاَبِلِ صَفْوَانِ

ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةٌ ... وَأَوْجُهُهُمْ عِنْدَ المَشَاهِدِ غُرَّانِ

فَقَدْ أَصْبَحُوا وَاللهُ أَصْفَاهُمْ بِهِ ... أَبَرَّ بِمِيْثَاقٍ وَأَوْفَى بِجَيْرَانِ

فامرؤ القيس مدح بني عوف بأنهم ابتنوا حسبًا، وأدوا الخفارة إلى جاراتهم، وأنهم عملوا ما في وسعهم لإبلاغ أهل امرئ القيس إلى مأمنهم، فهم أبر الناس بميثاق، وأوفاهم بجار[٢٢٠].

وقد قدمنا أن عنترة بن شداد يفتخر بحمايته لجيرانه، ويرى أنهم سيصابون بالذل إذا غاب عنهم، لعدم وجود من يتمكن من حمايتهم مثله، وخاصة إذا طالت فترة بعده عنهم، فقال[٢٢١]:

فَوَا ذُلَّ جِيْرَانِي إِذَا غِبْتُ عَنْهُمُ ... وَطَالَ المَدَى مَاذَا يُلاَقُوْنَ مِنْ بَعْدِي

---

[٢١٩] امرؤ القيس: حياته، شعره، جمع سليم الجندي، تصحيح وضبط طارق السعود، دار الهجرة، بيروت، ط٢ (١٩٨٧م)، ص١٤٢؛ الأصفهاني: الأغاني، ج١١، ص٦٣، وجاء في الشطر الثاني من البيت الثاني عنده (وأسعدني يوم الهزاهز صفوان). البلابل: الهموم والوساوس، آل غدران: بطن العرب. أصفاه بالشيء: آثره.

[٢٢٠] امرؤ القيس: حياته وشعره، ص١٤٩.

[٢٢١] عنترة بن شداد: ديوان عنترة، ص٥٠.

www.mtenback.com

ولم يتوقف المدح بحماية الجارات بعد الإسلام، بل كان كل من أراد المدح، يذكر موقف ممدوحه من جاراته وحمايته لهن. فهذا مسعود بن خرشة التميمي مدح والي اليمامة بأنه ممن يحمي الجارات، ويكرمهن. وهذه من صفات أهل الفضل دون غيرهم، كما مدح قومه بني عقيل، وذكر بأن جاراتهم محميات بحصونهم، وكرمهم يفيض عليهم في أيام الشدة والفقر، حين لا يكون بمقدور الجارة الضعيفة الحصول على حاجتها وكفايتها من الطعام، فقال[٢٢٢]:

حُصُونُ بَنِي عُقَيْلٍ كُلُّ عَضْبٍ ... إِذا فَزِعُوا وَسَابِغَةُ الدِّلاصِ

وَمَا الجَارَاتُ عِنْدَ المَحْلِ فِيهِمُ ... وَلَوْ كَثُرَ الدَّوارِجُ بِالخِمَاصِ

وقال الفرزدق يمدح بلال بن أبي بردة بأنه يمنع الجيران جميعًا الجار والجارة، كما أنه كريم، وصاحب دين[٢٢٣]:

هُوَ المَانِعُ الجِيْرَانِ وَالمُعْجِلُ القِرَى ... وَيَحْفَظُ لِلإِسْلامِ مَا في المَصَاحِفِ

كما أنشد مادحًا عبد الملك بن مروان مخاطبًا الحكم بن أيوب الثقفي الذي هدده ونهاه عن الهجاء، مظهرًا له طاعته، فقال[٢٢٤]:

مِنْ نِسْوَةٍ لِبَنِي لَيْثٍ وَجِيْرَتِهِمْ ... بَرَّحْنَ بِالعَيْنِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ طِيْبِ

فَقُلْتُ إِنَّ الحَوَارِيَّاتِ مَعْطَبَةٌ ... إِذَا تَفَتَّلنَ مِنْ تَحْتِ الجَلابِيْبِ

وقال يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأمه بنت محمد بن يوسف الثقفي[٢٢٥]:

---

(٢٢٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص١٦٦؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١١١ نقلاً عن الأصفهاني: الأغاني، ج٢١، ص٢٧٤.

(٢٢٣) الفرزدق: ديوان الفرزدق، ج٢، ص٢٠.

(٢٢٤) المصدر السابق، ج١، ص٢٣.

(٢٢٥) المصدر السابق، ج١، ص٣٣٧.

www.mtenback.com

فَفِـدَاكَ كُـلُّ مُجَـاوِرٍ جِيْرَانُـــهُ وَرَدُوا بِذِمَّـةِ حَبْلِـهِ لَـمْ يُصْـدِرِ

وقال جرير يمدح آل منظور بن زيان الفزاري من بني العشراء، ويذكر إنعامهم على الجارات وتقديم الطعام لهن في الليل، دون أن يقوم فتيانهم بزيارتهن زيارة مشبوهة[٢٢٦]:

تَـزُورُ جَـارَتَهُمْ وَهْنًـا جِفَـانُهُمُ وَمَـا فَتَـىً لَهُـمُ وَهْنًـا بِـزَوَّارِ

وقد افتخر العرب بحماية الجارات، وكان ذلك ديدنهم. فهذا صعصعة بن صوحان يفتخر بحماية قبيلته للجارات، وذلك في حضرة الخليفة الأموي معاوية، الذي أراد أن يجعله صغيرًا في أعين جلسائه[٢٢٧]، فأخذ يسأله عدة أسئلة عن أصله ونسبه يريد تحقيره، فحين انتسب صعصعة لمعاوية بعد سؤاله عن أصله، فذكر صعصعة بأنه من أفصى، قال له معاوية: وما أفصى؟ يسأله سؤال المتهكم المحتقر، وكأنه يقول له: إن أفصى ليست بشيء، فأجابه صعصعة معتزًا مفتخرًا بأفصى قائلاً: «كان ينزل القارات، ويكثر الغارات، ويحمي الجارات»[٢٢٨]. فسكت معاوية ولم ينبس ببنت شفة.

كما استغل العرب عدم حماية الجارات في الهجاء، فهجا الشاعر أوس بن حجر بني سعد بن مالك واصفًا إيّاهم بأنهم يدلفون إلى الجارات ليلاً، فقال[٢٢٩]:

طُلْسُ العِشاءِ إِذَا مَـا جَـنَّ لَيْلُهُـمُ بِالْمُنْدِيَـاتِ إِلى جَـارَاتِهِمْ دُلُـفُ

وَالفَارِسِـيَةُ فِيْهِـمْ غَـيْرُ مُنْكَـرَةٍ فَكُلُّهُـمْ لأَبِيْـهِ ضَـيْزَنٌ سَـلِفُ

فقد وصفهم أوس بسوء الأخلاق، والدبيب في ظلام الليل إلى الجارات، فكان ذلك هجاء مرًّا لاذعًا، أصابهم فيه بصميم ما يفتخر به العرب.

---

(٢٢٦) جرير: ديوان جرير، ص٧١٥.

(٢٢٧) انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٤٦٠.

(٢٢٨) جاد المولى: قصص العرب، ج٣، ص١٢٢-١٢٣. القارات: الجبيل الصغير.

(٢٢٩) ابن تنباك: الجواري عند العرب، ص٨١. نقلاً عن ديوان أوس، ص٧٥.

www.mtenback.com

وهجا الأعشى علقمة بن علاثة أشد ما يمكن أن يهجا بـــه. فهـــو لا يطعـــم الجارات، بخيلٌ، وليس هذا فحسب، بل هو وعشيرته يملؤون بطونهم لدرجة التخمة في ليالي الشتاء الباردة، في الوقت الذي يشتد فيه كلب الجوع والسغب على جـــاراتهم، وهن أقرب الناس إليهم مكانًا، فكيف بمن بعد عنهم. واختيار الأعشى للجارة بالذات لينزع من قلب علقمة وقومه في أعين من يعرفهم ومن لا يعرفهم كل عطف ورحمـــة، ويظهر للعيان بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة[٢٣٠].

واستمر هجاء الشعراء لمن لا يحسن إلى الجارات ولا يكرمهن، ولا يعرف لهـــن حقًا بعد ظهور الإسلام، فهذا حكم الخضري[٢٣١] يهجو ابن ميادة، ويصفه بســـوء الأخلاق مع الجيران عمومًا ومع الجارات خصوصًا، فيقول[٢٣٢]:

وَمِنْهُنَّ أَنَّ الجَارَ يَسْـــكُنُ وَسْـــطَكُمْ ... بَرِيْئًـــا فَيُلقَـــى بِالخِيَانَـــةِ وَالغَـــدْرِ

وَمِنْهُنَّ أَنَّ الشَّـــيْخَ يُوجَـــدُ مِنْكُـــمُ ... يَدِبُّ إِلَى الجَارَاتِ مُحْدَوْدِبَ الظَّهْـــرِ

يَبِيْتُ ضِبَابُ الضَّغْنِ يَخْشَى احْتِرَاشَهَا ... وَإِنْ هِيَ أَمْسَتْ دُونَهَا سَاحِلُ البَحْـــرِ

ويهجو الشاعر جرير، الفرزدق ويجعله لا يحســـــن إلى الجـــارات، ولا يقـــوم بحمايتهن، بل يعمل على هتك سترهن، ولذلك فإن الجارة تعيش في جواره محرومة مـــن الأمان، فقال[٢٣٣]:

بَنُـــو نَخَبَـــاتٍ لا يَفُـــوْنَ بِذِمَّـــــةٍ ... وَلا جَارَةٌ فِيْهِـــمْ تُهَـــابُ سُـــتُورُهَا

فهذا التهاون في حقوق الجارة، عار إلى الأبد، كيف لا!! وجارة جنبه التي كان عليه أن يكون عفيفًا عنها حاميًا لها، قد صبَّ سهام سوء أدبـــه نحوهـــا، فـــأصبحت

---

(٢٣٠) انظر شعر الأعشى الذي هجا به علقمة بعد علاثة فيما سبق، إكرام الجارة والإحسان إليها.

(٢٣١) عاش حكم الخضري في عصر أبي العباس السفاح. انظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص٢٤٦.

(٢٣٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٢، ص١٠٠.

(٢٣٣) جرير، ديوان جرير: ص٨٨؛ ابن تيماك: الجوار عند العرب، ص١٠٦، نقلاً عن جرير ص٢٠٦.

www.mtenback.com

ستورها لا تحميها منه، لأنه تجرأ على خرقها بدناءة نفسه، وضعف إرادته، وقلة مقاومته لشهواته[٢٣٤].

وهجاه أيضًا هجاء مرًّا سلبه فيه مروءته، ووصفه بدناءة الأخلاق، حين جعله قردًا لا يؤمن، وأنه في هجعة الليل يوصل الحبال ليرقي بها إلى جاراته، فقال[٢٣٥]:

وَمَا كَانَ جَارٌ للفَرَزْدَقِ مُسْلِمٌ ... لِيَأَمَنَ قِرْدًا لَيْلُهُ غَيْرُ نَائِمِ

يُوَصِّلُ حَبْلَيْهِ إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَى إِلَى جَارَاتِهِ بِالسَّلاَلِمِ

ولم يكتف بذلك، بل جعله لا يعرف معنى الشرف، ولا يملك شيئًا من المروءة، إذ ينادم جارته حُمَيْدة[٢٣٦]، ويسمح لغيره بمحادثتها والتبسط عندها، وكان الأجدر به أن يحميها، ويكون لديه شيء من الغيرة على الجوار وحقه،ويبعد الطامعين عنها، لا أن ينال منها بنفسه ويفعل ما لا ترضاه كرامة الجار، ومروءته.وهذا التصرف منه ليس غريبًا، كما يزعم خصمه فهو عنده لا يملك غيرة، ولا حمية، ولا عزة نفس، فقال[٢٣٧]:

حُمَيْدَةُ كَانَتْ للفَرَزْدَقِ جَارَةً ... يُنَادِمُ حَوْطًا عِنْدَهَا وَالمُقَطَّعَا

سَأَذْكُرُ ما لَمْ تَذْكُرُوا عِنْدَ مَنْقَرٍ ... وَأُثْنِي بِعَارٍ مِنْ حُمَيْدَةَ أَشْنَعَا

ومما لا شك فيه أن هذه المذمة عار الأبد على الفرزدق، وخزي الدنيا، وفضيحة لا يغفرها عدو مثل جرير، لخصم مثل الفرزدق، ذلك أنه رضي أن يرى جارته يحيط بها الرجال، ويجتمع في منزلها عدد منهم، وفيهم جارها الفرزدق الذي كان يتوجب عليه حمايتها، وصون عفتها. وجرير يتسقط أخبار الفرزدق وجيرانه ليجد ما يهجوه

---

[٢٣٤] جرير: ديوان جرير، ص٨٨١؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٦.

[٢٣٥] المصدر السابق، ص١٠٠١.

[٢٣٦] هي امرأة من بني رزام ، اتهمت بالفاحشة، وجعل جرير الفرزدق خدنًا لها، وعيّره بها، لأنها من بني مالك. انظر جرير: ديوان جرير، ص٩٠٥ وهامش ٤ لنفس الصفحة.

[٢٣٧] جرير: ديوان جرير، ص٩٠٥؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٨

www.mtenback.com

به، فوجد في جواره لحميدة ما يسلبه المروءة، وقد يكون الفرزدق لا ينادم حميدة كما ادّعى جرير، ولكنه أراد أن يتهمه بذلك[٢٣٨].

وهجا عقيل بن علفة المري بني الهجيم أعداءه، وسلب منهم مزية حماية الجارة، وجعلهم محرومين من الكرم معها، لعدم وجود كريم فيهم، ولكثرة اللئام بينهم. فهم لا يعرفون إلا استغلال ضعف الجارة وغفلتها، وغربتها، وبعدها عن حماتها، فيقومون بزيارتها زيارة دنيئة يلوثون بها شرفها وسمعتها. بل شرفهم وسمعتهم لأن بني الهجيم ضعاف النفوس، لا يقاومون شهواتهم الدنيئة، وسلوكهم المنحرف، فقال[٢٣٩]:

إِذَا جَارَةٌ حَلَّتْ عَلَى الهُجْمِ لَمْ تَجِدْ ... كَرِيْمًا وَلَمْ تَعْدَمْ لَئِيْمًا يَزُورُهَا

أَلَمْ تَرَ بَدْرًا لا تُمَانِي دِمَاءَهُم ... دِمَاءٌ وَلَمْ يَعْقِدْ لِجَارٍ مُجِيْرُهَا

ومما لا شك فيه أن هذه الصورة القبيحة التي صور بها عقيل المري بني الهجيم، صورة لا يمكن أن يرسمها إلا من شحذ خياله الغضب، فتمكن من تجسيم قبح هذه الممارسة السلوكية الخاطئة مع أقرب الناس وهي الجارة[٢٤٠].

وكذلك كان هجاء أبي جلدة بن حبيب[٢٤١] قاسيًا، حين وصف يزيد بن المهلب وقومه بأنهم يستغلون ظلمة الليل وهدوءه، وغياب عيون تراقبهم، فيتسللون إلى بيوت جاراتهم يدبون إليها دبيبًا، لئلا يراهم أحد. فهم لا شرف لهم، ولا مروءة. وما إن تمكنهم جارة البيت حتى يأتونها طائعين فقال[٢٤٢]:

---

[٢٣٨] جرير: ديوان جرير، ص٩٠٥؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٨-١٠٩.

[٢٣٩] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٧، نقلاً عن طبقات فحول الشعراء، ج١، ص٧١٣.

[٢٤٠] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٧.

[٢٤١] شاعر إسلامي: عاش في العصر الأموي، عاصر زيادًا الأعجم.

[٢٤٢] الأصفهاني: الأغاني، ج١٠، ص١١٢؛ ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٨. ونسب الأصفهاني الشعر لأبي كلدة اليشكري، وأنه هجا به يزيد بن المهلب، الذي اتهم بالنساء. ويأتي السطر الأول من البيت الأول عنده (إذا اعتركت ظلماء ليل ونومت).

www.mtenback.com

إِذَا اعْتَكَرَتْ ظَلْمَاءُ لَيْـــلٍ وَنَوَّمَـــتْ ... عُيُونُ رِجَالٍ وَاسْـــتَلَذُّوا المَضَاجِعَـــا
سَمَا نَحْوَ جَارِ البَيْتِ يَسْتَامُ عِرْسَـــهُ ... يَزِيْـــدُ دَبِيبًـــا لِلْمُعَانَـــاةِ قَابِعَـــا
وَإِنْ أَمْكَنَتْهُ جَارَةُ البَيْـــتِ أَوْ رَنَـــتْ ... إِلَيْـــهِ أَتَاهَـــا بَعْـــدَ ذَلِـــكَ طَائِعَـــا

إنها صورة للنفس الدنيئة التي تحاول ارتكاب المحرمات، والاعتداء على حرمة الجارة في غفلة زوجها بصورة متخفية. ومثل هذه النفس الدنيئة لا تحتاج إلى أكثر من ضعف جارته عن الدفاع عن نفسها، أو ضعف في نفسها فتمكنه مما يريد، فيأتيها طائعًا، ذلك لأنه لا أخلاق له، ولا ذمة، ولا مكرمة، ولا رادع ذاتي يردعه. فيدب إلى الفرصة السانحة. وهذا شأن من استحق هجاء أبي جلدة بن حبيب[٢٤٣].

وكما استغلت حماية الجارة في المدح، والفخر والهجاء، فإنها لكذلك في الرثاء. قال الأبيرد من قصيدة رثىٰ بها أخاه بريدًا، وذكر بأنه كان يستر الجارات، ولا يهتك لهن سترًا[٢٤٤]:

فَتَى الحَيِّ وَالأَضْيَـــافِ إِنْ رَوَّحَتْهُـــمُ ... بَلِيْلٌ وَزَادُ السَّفْرِ إِنْ أَرْمَـــلَ السَّـــفْرُ
إِذَا جَارَةٌ حَلَّـــتْ لَدَيْـــهِ وَفَـــى لَهَـــا ... فَآبَتْ وَلَمْ يُهْتَـــكْ لِجَارَتِـــهِ سِـــتْرُ
عَفِيْفٌ عَنِ السَّوْآتِ مَا التَبَسَتْ بِـــهِ ... صَلِيْبٌ فَمَا يُلْقَـــى لِعَوْدَتِـــهِ كَسْـــرُ

وقال أبو خراش الهذلي يرثي أخاه زهيرًا، حين قتل، ويصفه بإكرام الجار والجارة في عام المحل، فيقول[٢٤٥]:

قَتَلْتُـــمْ فَتًـــى لاَ يَفْجُـــرُ اللهَ عَـــامِدًا ... وَلاَ يَجْتَوِيـــهِ جَـــارُهُ عَـــامَ يُمْحِـــلُ

---

[٢٤٣] ابن تنباك: الجوار عند العرب، ص١٠٨.

[٢٤٤] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص١٥.

[٢٤٥] حفني: شعر الصعاليك، ص٣٤٨ نقلاً عن معجم ما استعجم للبكري، ج٢، ص٥٣٠.

www.mtenback.com

ورثى الشاعر الشمردل بن شريك[٢٤٦] أخاه وائلاً، ووصف مواقف المروءة التي تَحلَّى بها، والأخلاق التي اتصف بها، وعلى رأسها إكرام جاراته، والأمان الذي يشعرن به عندما يكون قريبًا منهن فقال[٢٤٧]:

وَثِقْنَ بِهِ عِنْدَ الحَفِيْظَةِ فَارْعَوى إلى صَوْتِهِ جَارَاتُهُ وَحَلاَئِلُهْ

وهكذا يتضح لنا أن العرب في جاهليتهم، وبعد إسلامهم، اهتموا بحماية الجارة، وحصانتها، وإكرامها. وكان ذلك مبعث فخر لهم. كانت معاملتهم للجارة مادة استغلها المادحون في مدحهم، والهاجون في هجائهم، والراثون في رثائهم.

بعد هذه الرحلة القصيرة في رحاب الجارة وحقوقها، يتضح لنا أنه إن كان للجار على جاره حقوق، فللجارة حقوق مثل حقوق الجار، ولها خصوصيات اختصت بها. وتعود هذه الخصوصيات إلى أن الجارة قد تكون مستجيرة، أو وحيدة ضعيفة لا معين لها، في منطقة تندر فيها مقومات الحياة في أكثر أيام السنة، وخاصة في فصل الشتاء، حيث لا يستطيع الكثير من الرجال تأمين متطلبات حياتهم، والحصول على ما يسد رمقهم، فكيف بالجارة الضعيفة الوحيدة.

وقضية الجوع وندرة الغذاء في الجزيرة العربية، تعود إلى طبيعتها القاسية، وشح المواد الغذائية فيها، خاصة في أوقات الشتاء القاسية، ولذلك فإن كثرة من سكانها كانوا - فيما سبق - لا يصلون إلى ما يكفيهم من الغذاء في مثل هذه الأوقات العصيبة. و لم يكن لديهم الأموال الكافية للحصول على مثل هذه الموارد من خارج الجزيرة العربية، وما يأتها عن طريق المتاجرات لا يصل إلى عامة الشعب، بل يكون لخاصتهم غالباً.

---

[٢٤٦] شاعر إسلامي، من شعراء الأمويين.

[٢٤٧] الأصفهاني: الأغاني، ج١٢، ص١١٤.

www.mtenback.com

وبما أن الجارة هي العنصر الأضعف في المجتمع، والتي يصعب عليها الحصول على حاجتها بنفسها، ولذلك كان التأكيد على الإنعام عليها، وإطعامها، وتفقد أحوالها من قبل جيرانها. ويمكن تلخيص ما يتوجب على الجار تجاه جارته سواء في الجاهلية أو الإسلام بما يلي:

تقع على الجار الذي يتصف بالأخلاق الحميدة، من مروءة، وحمية، أن يعامل جارته كأحد أفراد أسرته، يحميها من كل المخاطر التي تحيق بها، ولا يفسح مجالاً لأصحاب النفوس الدنيئة من الاقتراب منها، وتلويث شرفها، ونشر الأقاويل والإشاعات حولها لتشويه سمعتها وشرفها، وتكون حمايتها لها خالصة لوجه الله، ولا يعمل على كشف سرها حتى لا يدع مجالاً للريبة والشك في أخلاقه وسلوكياته، وأخلاقها.

ولا تنحصر مهمة الجار في حماية الجارة، ودفع أذى من يحاول ايذاءها، بل عليه واجب تفقد أحوالها المعاشية، فيطعمها ولا يدعها محتاجة إلى مساعدة من غيره. ومما لا شك فيه أن الجيران مختلفون في مدى إكرامهم للجارة، فبعضهم يعطيها ما يسد رمقها، وبعضهم الآخر يشبعها ويكرمها ويجود عليها، ويقدم لها كل ما تحتاج إليه من أفضل الطعام وأطيبه، لا بل يقدمها على أفراد أسرته، ولا ينتظر منها أن تطلب معونته، بل يندفع من نفسه للإنعام عليها، حتى لا يشعرها بذل الطلب. ويختلف مستوى إكرام الجار لجارته حسب عاملين:

أحدهما إمكانية الجار المادية، فالجار الذي ليس بإمكانه إلا أن يسد رمق أهله، وجعل جارته كنفسه وأهله، بل يقدمها عليهم أحياناً، ويبذل كل ما بوسعه للإنعام عليها، فإن هذا يحمد له. أما الجار صاحب الإمكانات المادية الحسنة، فإنه لا يكتفي بما يسد رمقها، بل يكرمها غاية الإكرام، ويفضلها على نفسه وأبنائه، ولا يدعها بحاجة إلى معونة من غيره.

www.mtenback.com

ويعود العامل الآخر في إكرام الجارة إلى الاختلاف في الأخلاق والطباع، فمن يتحلى بالأخلاق الحميدة والمروءة، يكرم وينعم على جارته، أما من اتصف بسوء الأخلاق، فإنه لا يدري عن أحوال جارته شيئاً، ولا يعلم إن كانت جائعة، ولا إن كانت بحاجة إلى حماية. ومثل هذا الجار يناله الهجاء، وخاصة إن كان يبيت شبعان ممتلئ البطن بما لذ وطاب، وجارته تعاني الجوع.

وجاء الإسلام فاستند إلى هذه المكارم التي تحلى بها العربي في الجاهلية، وتممها، لأن رسول الله ﷺ إنما بعث ليتمم مكارم الأخلاق. وكان أن حض الإسلام على الإحسان إلى الجارة، فكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يحسن إلى جيرانه عموماً، وجارته خصوصاً وإن لم يفعل، فإنه يخرج من حيز المؤمنين إلى حيز الكافرين.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مصطفى بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
النور	﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... الآية﴾	٣٠	٤٣، ٤٥
النساء	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... الآية﴾	٣٦	٤٣
الحشر	﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ... الآية﴾	٩	٧٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
«إلى أقربهما منك باباً».	٧٥
«أن تجعل لله نداً».	٤٤
«أن تزاني بحليلة جارك».	٤٤
«أن تقتل ولدك خشية أن تطعمه»	٤٤
«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».	٧
«إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها»	٢٩
«إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم،وقد أصبتم له مالاً.»	٣٠
«ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم.»	٢٩
«قد أجرنا من أجرت»	٣٠
«لا خير فيها هي من أهل النار.»	٧٦
«لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه.»	٤٤
«لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن....»	٤٤
«ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع.»	٧٥
«ما تقولون في السرقة».	٤٤
«هي من أهل الجنة».	٧٦
«والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن الذي لا يأمن...»	٤٣
«يا أبا ذر: إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها».	٧٦
«يا نساء المسلمات لا تحقرن امرأة منكن جارتها».	٧٦

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ى ـ		
أعشى	أغشاها	عنترة بن شداد	١	٤٧
وأغض	مأواها	عنترة بن شداد	٢	٤٦
		ـ ب ـ		
والجار	أغضبا	أحمد بن علي الحراني	٣	٤٥
أجارتنا	تصيب	الأعشى	٤	١١
وما أنا	جانب	حاتم الطائي	١	٦٢
ثنتان	الجنب	الأحوص الأنصاري	٢	٥٣
أتعرف	راكب	قيس بن الخطيم	٥	٥٢
قالت	السلبا	قيس ليلى	٢	٣٦
من نسوة	طيب	الفرزدق	٢	٨٣
نظرت	لبيب	ابن ميادة	٣	١٦
أنا	محروب	الحارث بن ظالم	٢	١٧
إذا أوطن	المكاسب	حاتم الطائي	٢	٦١
كما كان	المنتهب	الفرزدق	٣	١٧
أجارتنا	نصيبي	بشار بن برد	٢	١٤
وإني لعف	اغتيابها	هلال بن خثعم	٣	٤٩
تميم	جوابها	الفرزدق	٥	٢٢
ولا يستضام	عقاربه	عروة بن الورد	٢	٦٤
		ـ ت ـ		
ولا ذنب	تعنت	أبو الأسود الدؤلي	٢	٣٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
فيا جارتي	تقلت	الشنفرى	٧	١٢
ألا أم عمرو	تولت	الشنفرى	١	٤١
إذا ما بت	خفيت	حاتم الطائي	٢	٤٧
رب بيضاء	فأبيت	حاتم الطائي	٢	١٩
ولقد قالت	حجرتها	عمر بن أبي ربيعة	٢	٣٦
أرى دار	دخلتها	الأصمعي	٣	٥٨
— ح —				
قالت	جناحي	بشار بن برد	١	٣٦
هجرت	يطرح	–	٢	٣٤
أرى	طموحها	عمرو بن قميئة	٣	١٤
— د —				
ياليت	أسد	مالك بن أسماء	٢	١٥
ولا يقوم	تخويدا	الخنساء	١	٦٥
وكيف يسيغ	الجهد	حاتم الطائي	٢	٧١
يارب	شهدا	بشار بن برد	١	٣٦
ولست بسائل	شهود	عقيل بن علقمة	٣	٦٥
وهل جارتينا	العهد	قيس بن الملوح	١	٣٣
تحسدها	فليحسد	بشار بن برد	١	٣٤
تمشي	الكبد	أبو الذيال	١	٤١
ألا ودعت	يزودا	زيد الخيل	١	٤١
فأقسمت	يغرد	حاتم الطائي	٢	٦١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وقومك	أنضادها	الأعشى	٢	٨٠
وقائلة	جودها	حاتم الطائي	٢	٧٣
يدل	سدادها	شبيب بن البرصاء	٢	٥٧
		ـ ر ـ		
بليلي	الأباعر	كثير عزة	١	٣٣
صلى	الأخر	القتال الكلابي	٢	٣٣
لا يأمنن	إمرار	جرير	٣	٦٦
تزور	بزوار	جعير العبسي	٢	٣٥
تزور	بزوار	جرير	١	٨٤
وما أنا	بصير	الأعرج الطائي	١	٦٣
كانت	جار	جرير	١	٤١
لم تره	الجار	الخنساء	١	٦٥
وما جارتي	جهرا	أبو جعفر العدوي	٢	٦٧
أنت أختي	الجوار	قينة	٣	٥٧
فما عجزت	الخمارا	السليك بن السلكة	٢	٢٧
في الجبل	الدار	جرير	٢	٣٢
ماضر	ستر	مسكين الدارمي	٣	٦٦
وإن جارة	ستر	الأبيرد الرياحي	١	٦٦
سقى	السرير	عروة بن الورد	٢	١٥
فتى الحي	السفر	الأبيرد	٣	٨٨
ومنهن	الغدر	حكم الخضري	٣	٨٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ويكرمنها	فتعذر	أبو القيس بن الأسلت	٣	٤٢
فما زادنا	الفقر	حاتم الطائي	٣	٦٣
لا يرهب	القبر	مسكين الدرامي	٣	٥٠
إلى حامل	الكبارا	الأعشى	٢	٥٥
وما تراه	مهمار	الخنساء	١	٧٤
لا يهتك	النظر	الأبيرد	١	٦٦
ففداك	يصدر	الفرزدق	١	٨٤
وما تشتكيني	أزورها	حاتم الطائي	٣	٤٨
بنو نخبات	ستورها	جرير	١	٨٥
وما تنام	قراها	الحطيئة	٢	٧٥
ولا أطرق	محافره	تميم بن أبي مقبل	١	٤٩
إذا جارة	يزورها	عقيل بن علقمة	٢	٨٧
— س —				
أجارتنا	يابساس	محمد بن وهيب	١	٦٨
وأكرم	لعرس	الخنساء	١	٧٤
— ص —				
تبيتون	خمائصا	الأعشى	٢	٦٩
حصون	الدلاص	مسعود بن خرشة	٢	٨٣
— ع —				
فإن يك	أربعا	مالك بن حريم	٣	٥٤
وجارتهم	تجوع	حاتم الطائي	١	٤٧

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
هم الخضارم	خنعا	الأعشى	٢	٨٠
دعوت	الداعي	الحارث بن ظالم	٢	١٧
هل غير	دواعي	–	٢	٧٠
يآل عباد	زماع	الأسود بن يعفر	٢	٨١
وبسل	شباعا	عدي بن زيد	١	٦٩
وإنني سوف	فاستمعا	عمرو ذي الأصبع العدواني	٢	٨١
ويحرم	القصاع	الحطيئة	٢	٨٠
قد اقربت	مانع	قيس بن الحدادية	٣	١٥
إذا اعتكرت	المضاجعا	أبو جلدة بن حبيب	٣	٨٨
لعمرك	مضاع	الحطيئة	٤	٦٤
حميدة	المقطعا	جرير	٢	٨٦
ومغيرة	مقنع	عنترة بن شداد	٢	١٨
ـــ ف ـــ				
وبادرها	آزف	هدبة بن الخشرم	٢	٧٨
وإني لأقرى	ترعف	حاتم الطائي	٤	٧١
لعمرك	بخائف	معن بن أوس	٢	٥٨
طلس	دلف	أوس بن حجر	٢	٨٤
أجارتنا	فاصرفي	الأسود بن يعفر	٤	٨١
هو المانع	المصاحف	الفرزدق	٢	٨٣
ـــ ق ـــ				
أيا جارتي	طارقه	الأعشى	٣	١٠

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ك ـ		
تقول	العوالك	ذو الرمة	٢	٣٦
وجاراً	وأولئك	طرفة بن العبد	٣	٣١
		ـ ل ـ		
سأقدح	أهلي	حاتم الطائي	٢	٧٢
قالت	تبلا	عمر بن أبي ربيعة	٤	٣٧
ولا نطرق	تحمل	حاتم الطائي	٢	٤٨
ليست	تختتل	الأعشى	٢	٣٧
تقول	حوقلا	تأبط شراً	٧	١١
فإذا قامت	زجل	كعب بن جعيل	٢	٣٤
مهلاً نوار	فعلا	حاتم الطائي	٤	٧٣
فلا تحمدوني	متعللا	أعرابية	١	٤٢
ولا أقول	محلول	طفيل الغنوي	٣	٥١
إني	النائل	عمرو بن الإطنابة	٢	١٩
قتلتم	يمحل	أبو خراش الهذلي	١	٨٨
ولا يلطم	يغفل	حاتم الطائي	١	١٩
وثقن به	حلائله	الشمردل بن شريك	١	٨٩
أجارتنا	حلالها	مالك بن مسمع	١	٥٥
أجارتكم	حليلها	الأعشى	١	٥٥
		ـ م ـ		
أرى	حريم	ـ	٣	٥٩
أخصمي	سالم	الحارث بن ظالم	٤	٢١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وجارته	السنام	لبيد بن ربيعة	٢	٣٢
لنا هضبة	فيعصما	طرفة بن العبد	٢	٥٦
سنجزي	قدما	ريطة بنت جذل	٤	٢٧
واني عزيز	مقامي	عنترة بن شداد	١	٤٦
وما كان	نائم	جرير	٢	٨٦
وإن قصياً	قديمها	عبد الله الزبعرى	٢	١٩
ـــ ن ـــ				
يسري	جيران	عنترة بن شداد	١	٣٣
وهل يحذر	خؤون	قيس بن الخطيم	٢	٥٧
ألا إن	غدران	امرؤ القيس	٤	٨٢
نساء	كنائن	كثير عزة	١	٥٤
وافعل	معينا	لبيد ربن ربيعة	٣	٧٧
وتبيت	مولانا	النابغة الحارثي	٢	٥٢
ـــ هـ ـــ				
إني امرؤ	الكعبية	أبو جندب بن مرة القردي	٢	٢٠
ـــ ي ـــ				
لا أحرم	أخزيها	حجر بن حية العبسي	٢	٥٣
عجبت	بديا	ابن معاوية	٢	١٣
فوا ذل	بعدي	عنترة بن شداد	١	٤٧
يبين	جاري	العجير السلولي	٢	٦٧
وجارة	خافيا	الأعشى	٢	٥٥
ونحن	غواشيا	عنترة بن شداد	٣	١٨

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أوفى من عوف بن محلم»	٢٨
«أعز من مروان القرظ»	٢٨
«بكل واد بنو سعد»	٥٩
«مرفوع الجناية»	٦٠

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن الأثير، علي بن محمد:

الكامل في التاريخ، بيروت،دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥م.

الأحوص الأنصاري، عبد الله بن محمد:

شعر الأحوص الأنصاري، تحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة،الهيئة المصرية للتأليف، ١٩٧٠م.

الأزهري، منصور محمد بن أحمد:

تهذيب اللغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، القاهرة،الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة (د.ت)

أبو سعيد، عبد المنعم علي:

أدب الجوار، مجلة الأزهر، محرم ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:

الأغاني، بيروت،دار الفكر، د.ت.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت،مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٣م.

الأفغاني، سعيد:

أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دمشق،دار الفكر، ط٢، ١٩٦٠م.

الألوسي، محمود شكري:

عادات العرب في جاهليتهم، مختصر من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، القاهرة المطبعة الرحمانية، ١٩٢٤م.

www.mtenback.com

أمان، عاطف أحمد:

قبس من مكارم الأخلاق والآداب، القاهرة،مكتبة المدارس، ١٩٨٨م.

امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث:

امرؤ القيس، حياته شعره، جمع سليم الجندي، تصحيح وضبط طارق السعود، بيروت،دار الهجرة، ط٢، ١٩٨٧م.

البخاري، أبو عبد الله محمد:

- صحيح البخاري، تحقيق: قاسم الرفاعي، بيروت،دار القلم، ١٩٨٧م.
- الأدب المفرد، ترتيب وتقديم كمال الحوت، بيروت،عالم الكتب، ١٤٠٤هـ.

بشار بن برد:

ديوان بشار بن برد، تقديم محمد الطاهر بن عاشور، القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٧م.

البغدادي، عبد القادر بن عمر:

خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة مكتبة الخانجي، الرياض،دار الرفاعي، ط٢، ١٩٨١م.

تأبط شراً، أبو زهير ثابت بن جابر:

ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق: علي ذو الفقار شاكر، بيروت،دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٤م.

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان:

الجوار عند العرب في الشعر حتى العصر الأموي، القاهرة،دار المعارف، ط١، ١٩٩٢م.

www.mtenback.com

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي:

ديوان الحماسة، طبع مصر، ١٣٣٥هـ.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:

البخلاء، تحقيق: طه الحاجري، القاهرة،دار المعارف (د.ت).

جاد المولى، محمد أحمد وزملاؤه:

- أيام العرب في الجاهلية، القاهرة،مطبعة عيسى البابي (د.ت).

- قصص العرب، القاهرة، مطبعة عيسى البابي وشركاه، ١٩٧١م.

جرير، ابن عطية الكلبي:

- ديوان جرير، شرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، القاهرة،دار المعارف، ط٣، ١٩٨٦م.

الجمحي، محمد بن سلام:

طبقات فحول الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، الرياض،جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٧٤م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي:

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر وزميله، بيروت،دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٢م.

حاتم الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: عادل سليمان جمال، القاهرة،مطبعة المدني (د.ت).

حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني:

الأخلاق الإسلامية، وأسسها، دمشق،دار القلم، ١٩٩٢م.

www.mtenback.com

ابن حبيب، محمد:

المحبر، نشر ايلزة ليختن، حيدر آباد، ١٩٤٢م.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديوان الحطيئة، برواية وشرح ابن السكيت، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتّي، بيروت،دار الكتاب العربي، د.ت.

حفني، عبد الحليم:

شعر الصعاليك، منهجه وخصائصه، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

الخزرجي، عبد الله فرج الزامل:

المدينة المنورة، عاداتها وتقاليدها منذ عام ٩٢٥ حتى عام ١٤٠٩، جدة،مطبوعات تهامة، ط١، ١٩٩١م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي:

تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٤٦٣هـ، القاهرة،مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م.

الخنساء، تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية:

ديوان الخنساء، شرح ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى، تحقيق: أنور سويلم، مؤتة دار عمار، ١٩٨٨م.

الخواجا، زهدي صبري:

الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، الرياض،دار الناصر للنشر والتوزيع، ط١ (١٤٠٤هـ).

www.mtenback.com

درامي، سفيان بن سالم:

الإسلام ومبادئ الأخلاق، مراجعة وإشراف عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، قطر،إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٨م.

ابنَ أبي الدنيا، عبد الله بن محمد:

مكارم الأخلاق، تحقيق: وشرح وتقديم جيمز. أ. بلي، فيسبادن،نشر فرانز شتاينر، ١٩٧٣م.

الديار بكري، حسين بن محمد:

تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، القاهرة،المطبعة الوهيبية، ١٢٨٣هـ.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد:

- سير أعلام النبلاء، تحقيق: حسين الأسد، مراجعة شعيب الأرنؤوط، بيروت،مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٨٢ـ١٩٨٥.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المغازي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت دار الكتاب اللبناني، ط٢، ١٩٨٩م.

- حقوق الجار، تحقيق: مبروك إسماعيل، القاهرة،دار الطلائع (د.ت).

ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي:

ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت،مؤسسة الإيمان، ط٢، ١٩٨٢م.

ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني:

العمدة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت،دار الجيل، ط١، ١٩٩٦م.

www.mtenback.com

زادة، السيد علي:

شرح شرعة الإسلام، وبهامشه إحدى عشر رسالة مفيدة، بيروت،دار الكتب العلمية د.ت.

الزركلي، خير الدين:

الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت،دار العلم للملايين، ط٦، ١٩٨٤م.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

أساس البلاغة، القاهرة، مركز تحقيق: التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٥م.

زناتي، محمود سلام:

نظام الجوار، أو حق اللجوء في الأعراف القبلية المعاصرة، الرياض،دار أجا، ١٤١٤م.

أبو زهرة، محمد:

التعسف في استعمال الحق، أسبوع الفقه الإسلامي ومهرجان ابن تيمية، القاهرة،المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٣م.

زهير بن أبي سلمى:

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتّي، بيروت،دار الكتاب العربي د.ت.

زينو، محمد بن جميل:

آداب الإسلام في المجتمع، عمّان،مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٤٠١هـ.

www.mtenback.com

أبو سعيد، عبد المنعم علي:

أدب الجوار، مجلة الأزهر، محرم ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م.

ابن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام:

طبقات الشعراء، القاهرة،مطبعة السعادة (د.ت).

سنديوني، وفاء فهمي:

شعراء صدر الإسلام، وتمثلهم للقيم الاجتماعية، الرياض،دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

ابن سهل السامري الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد:

مكارم الأخلاق ومعاليها، راجعه وقدم له، أبو محمد عبد الله بن حجاج، نشر مكتبة السلام العالمية، د.ت.

شحات، أحمد حسن:

الفكر التربوي الإسلامي (الأصول والمبادئ)، تونس،المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ١٩٨٧م.

الشعيبي، علي شواخ إسحاق:

ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، الرياض،دار الرفاعي، ط١، ١٩٨٦م.

الشنقيطي، أحمد:

شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها، بيروت،دار الأندلس، ط٥، ١٤٠٤هـ.

الضبي، المفضل بن محمد:

المفضليات، شرح شاكر وهارون، القاهرة،مطبعة المعارف (د.ت).

www.mtenback.com

ضيف، شوقي:

- تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، مصر،دار المعارف، ط٤، د.ت.

- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، القاهرة،دار المعارف، ط٢، د.ت.

الطبري، محمد بن جرير:

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤م.

طرفة بن العبد، عمرو بن العبد:

ديوان طرفة بن العبد، شرح وتحقيق: محمد حمود، بيروت،دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م.

ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد:

العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، بيروت،دار الفكر، د.ت.

عبود، مارون:

ارع الجار ولو جار، مجلة سبل ومناهج، بيروت، دار مارون عبود، د.ت.

عروة بن الورد والسموءل:

ديوانا عروة والسموءل، بيروت،دار صادر، د.ت.

العفيفي، طه عبد الله:

حق الجار، سلسلة الحقوق رقم ٦، د.ت.

الحقوق الإسلامية، الجزء السادس، حق الجار، القاهرة، دار التراث العربي، ١٩٨٥م.

علي، جواد:

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت،دار العلم للملايين، بغداد،مكتبة النهضة، د.ت.

www.mtenback.com

عمر بن أبي ربيعة:

ديوانه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/١٣٩٢م.

عنترة بن شداد العبسي:

- شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له وعلق حواشيه سيف الدين الكاتب، وأحمد عصام الكاتب، بيروت،منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، بيروت،المكتب الإسلامي، ١٩٨٣م.

الفرزدق، همّام بن غالب:

ديوان الفرزدق، بيروت،دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.

القاسمي، ظافر:

الحياة الاجتماعية عند العرب، بيروت،دار النفائس، ط٢، د.ت.

القالي، أبو علي اسماعيل بن القاسم:

الأمالي، القاهرة،دار الكتب، ١٩٢٦م.

القتال الكلابي:

ديوان القتال الكلابي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت،دار الثقافة، ١٣٨١هـ.

ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم:

- عيون الأخبار، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

- الشعر والشعراء، تحقيق: عمر الطباع، بيروت،دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٨هـ.

www.mtenback.com

قيس بن الخطيم، أبو عدي الأوسي:

ديوان قيس بن الخطيم، عن ابن السكيت وغيره، تحقيق: ناصر الدين الأسد، بيروت،دار صادر، ط٢، ١٩٦٧م.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر:

تفسير القرآن العظيم، القاهرة،دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

كثير عزة، كثير بن عبد الرحمن الخزاعي:

ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس، بيروت،دار الثقافة ١٩٧١م.

لبيد بن ربيعة، ابن مالك العامري:

ديوان لبيد بن ربيعة العامري، بيروت،دار صادر، د.ت.

المبرد، أبو العباس بن يزيد الأزدي:

الكامل في اللغة والأدب، عارضه بأصوله محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،دار الفكر العربي، د.ت.

المرتضى، الشريف علي بن الحسين الموسوي:

أمالي المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة،دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد:

شرح ديوان الحماسة، نشر: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٦٧م.

مسلم بن الحجاج القشيري، أبو الحسين:

صحيح مسلم، القاهرة،المطبعة الأميرية، ١٢٩٠هـ.

www.mtenback.com

المنصور، خالد المنصور:

العلاقات الإنسانية في الإسلام، تقديم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، الرياض،مكتبة التوبة، ط٢، ١٤١٣هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي:

لسان العرب، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة يوسف خياط ونديم مرعشلي، بيروت،دار لسان العرب، ١٩٧٠م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام:

السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وزملاؤه، القاهرة،دار إحياء التراث العربي، ١٩٣٦م.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com